اتصال هاتفي من "مصطفى يوجه" المدير بشعبة حزب الرفاه في محافظة اسطنبول:

– مرحبا، الأخ أحمد، اتصل قبل قليل شخص وقال إن خط الهاتف والتيار الكهربائي الخاص بنا سينقطع اليوم لمدة ساعتين، فيما بين الساعة الواحدة إلى الثالثة ظهرًا... سيتصل حتمًا مرة أخرى فلا عليك إن لم تستطع الوصول إليه.

– من كان ذلك الشخص، ألم تسأله ؟ واتصل من أين ؟

– أنا لم استطع أن أسأل، فقد أغلق الهاتف بمجرد أن أنهى كلامه.

– حسنًا، شكرًا.

أغلق **"أحمد أرغون"** الهاتف، وقال وهو يلتفت نحونا: **" اتصل بالشعبة ..!! "**. وتابع وتبدو عليه علائم الضيق الشديد وقال لنا: **" اتصل شخص ما بمصطفى وقال له أن خط الهاتف والتيار الكهربائي الخاص بنا سينقطع لمدة ساعتين... "** .

كنا قد اعتدنا على انقطاع التيار الكهربائي، بيد أن انقطاع خط الهاتف معه كان بالنسبة لنا أمرًا غريبًا إلى حد ما. لم نتوقف كثيرًا عند هذا الموضوع، حتى أننا لم يجل بخاطرنا أن نتصل هاتفيًّا بعد ذلك بالشعبة ونسألهم عن صحة هذا الخبر.

كانت انتخابات البلديات التي ستجرى في 27 مارس / آذار 1994م قد أشرفت على الأبواب. وكنا نواصل جهودنا في حملة الدعاية الانتخابية باعتبارنا نمثل حزب الرفاه في شعبة اسطنبول. واستغرقنا في العمل، وأخذنا نوزع المناطق بيننا: هذا الحي لك، وهذا الشارع لي، وهكذا ...

وما أن حل المساء حتى دق هاتف **"أحمد أرغون"** مرة أخرى. وكان **"أحمد أرغون"** هو الشخص الوحيد في ذلك الوقت الذي يحمل هاتفًا جوالاً بيننا؛ فانتبهنا لدقات الهاتف عن غير قصد منا ظنًّا بأن شيئًا مهمًّا قد حدث.

– **"مرحبا، تفضل ..."**

– **" كنتُ قد اتصلت في الصباح بمديركم في الشعبة، وأخبرته بأن خط الهاتف والتيار الكهربائي الخاص بكم في مبنى الشعبة سينقطع، وها قد رأيتم... أن ما قلته قد حدث ! "**

- "من حيث إننا رأينا فقد رأينا..!! ولكن من أنتم ؟ وما شأنكم بنا ؟"

- "أنا أحذركم.. ينبغي على مرشحكم أن يسحب فورًا ترشيحه، ويعلن ذلك في مؤتمر صحفي، وإلا... "

- "وإلا ماذا ..؟ ".

- "سيكون تحذيرنا القادم تحذيرًا دمويًّا ..! ".

- حاول السيد "أحمد أرغون" أن يحافظ على هدوئه وهو ينقل إلينا هذه المحادثة القوية، وأخذتنا جميعًا الدهشة والاستغراب.

كنا مضطرين للتعامل مع الأمر الواقع ومحاولة فهم ما حدث؛ فمن هؤلاء ؟! ولماذا هم قلقون من ترشُّح "رجب طيب أردوغان" لرئاسة بلدية (اسطنبول الكبرى)(*)؟ كنا لا نزال في بداية العمل، وفضلاً عن هذا فقد كان احتمال فوز مرشحنا في الانتخابات احتمالاً ضعيفًا بالنظر إلى مرشحين مثل "بدر الدين دالان"، و"زولفو ليونالى"، و"إلهام كاسجى" وهي شخصيات معروفة وذائعة الصيت في المجتمع، وتستند إلى دعم إعلامي كبير، ناهيك عن أن اسم "رجب طيب أردوغان" لم يكن له ذكر قط في وسائل الإعلام. وكانت استطلاعات الرأي العام واضحة جلية، إذ كُنا في آخر قوائمها.

* * *

إن رغبة البعض في سحب "أردوغان" ترشيحه يدل على أنهم قد رأوا شيئًا لم يره الإعلام أو ترصده استطلاعات الرأي العام. فمن الواضح أن ذلك الشخص أو أولئك الأشخاص لديهم من الإمكانات والخبرات ما يتيح لهم حسن التفرس في المرشح وتحديد قدراته.

لقد تنبه أولئك الأشخاص إلى مبنى صغير لا يلفت الأنظار إليه كثيرًا، بسبب حجمه المتواضع بين كم هائل من الإعلانات والملصقات والأعلام التي تحيط به وبالمنطقة من حوله... كان ذلك المبنى هو شعبة حزب الرفاه في مدينة (اسطنبول).

(*) **بلدية اسطنبول الكبرى:** ينظِّم القانون التركي إدارات البلديات، ويسمح بضم البلديات إلى بعضها البعض داخل المحافظة الواحدة وفق حجم بلدية المدينة أو المركز وعدد سكانها. وتُعد بلدية اسطنبول الكبرى واحدة من أكبر البلديات الكبرى في تركيا حيث تضم الآن 39 بلدية موزعة في عموم محافظة اسطنبول.

وبقدر ما كان مبنى الشعبة متواضعًا، كان أيضًا العاملون والمترددون على ذلك المبنى في غاية الهدوء والسكينة والتواضع. بيد أن العين الفاحصة يمكنها أن ترى بسهولة مدى إصرار وعزم أولئك النفر على الفوز في الانتخابات. كان **"رجب طيب أردوغان"** رئيسًا للشعبة، وكانوا ينادونه بلقب (**يا رَيّس**)، ويبتهلون إلى الله تعالى أن يوفقه للفوز برئاسة بلدية (**اسطنبول الكبرى**).

وما أن ينشق الصباح عن يوم جديد حتى كانت هذه الحشود تنتشر في المدينة كأسراب من النحل، وتظل على حالها هذه إلى منتصف الليل، وتطوف بيوت المدينة بيتًا بيتًا، وتطرق أبوابها بابًا بابًا، ليعرّفوا الناس بالريس **"أردوغان"**. يقولون لهم إن (**اسطنبول**) تحتاج إلى رؤية **"أردوغان"** وبرنامجه الإصلاحي فضلاً عن عزمه الحديدي الذي لا يلين في مواجهة الصعاب وحبه الدافق لها ولأهلها.

كانوا يخرجون إلى طرقات المدينة في بردها وقيظها، بين غبارها ورمالها، فيصلون إلى أبعد نواحيها وسط رائحة منفّرة لا تحتملها النفس، وأكوام القمامة العفنة، كانوا يطرقون فيها أبواب المقاهي، والحانات، والخمارات، وبيوت الدعارة، ويمرون بأزقتها وحواريها، ويصلون برسالتهم إلى كل أهالي (**اسطنبول**) حتى المرضى منهم، والفقراء، والعجائز، والأطفال. إنهم لا يعرفون معنى الكلل أو الملل. يؤدون عملهم في خشوع العابد بلا تعب أو نصب. ينهضون برسالتهم تواضع المتنسك، عقيدتهم **"إن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا"**، وحلمهم أن يروا **"رجب طيب أردوغان"** رئيسًا لبلدية (**اسطنبول**) يدير أمرها ويدبر شئونها.

* * *

وبينما كان الناس في هذه الانتخابات ينظرون إلى حزب الرفاه ويسخرون بقولهم: "إن هذا الحزب حزب صغير ضعيف التأثير وربما لا تأثير له"، كانت الأصوات التي على الطرف الآخر من المكالمات الهاتفية الغامضة ومن يستتر خلفها قد فطنوا إلى حزب الرفاه وشُعبه ومقاره، وأخذتهم الدهشة أمام الحقيقة الماثلة أمام أعينهم.

كانوا محقين في مخاوفهم.. كانوا على يقين بالخطر المحدق بهم... نعم، لم يخطئ حدسهم... فالخطر المحدق بهم كان اسمه: **"رجب طيب أردوغان"**.

كان "**أردوغان**" من حي (**قاسم باشا**). وهو من أحياء (**اسطنبول**) التي كان استخدام السلاح الأبيض فيها سلوكًا معتادًا إلى حد أنه كان واحدا من أقصر الطرق التي تميز بين الأقران فيه، ولكنه لم ينغمس أبدا في تلك البيئة التي تغري بسهولة كل شاب من شبابها.

تعلق قلب "**أردوغان**" بكرة القدم منذ نعومة أظافره؛ فقد ملكت عليه قلبه وسلبت منه الكثير من وقته وهو في الصفوف الأولى في مرحلة الدراسة الابتدائية، وظل يلعب كرة القدم طيلة ستة عشر عامًا، إلى أن وقع الانقلاب العسكري في 12 سبتمبر/ أيلول 1980م.

كان ولعه بكرة القدم هو التجربة الأهم في حياته والتي لها دور بارز في وصوله إلى المكانة التي تبوأها اليوم؛ فقد تعلم خلال تلك الأعوام الصبر في مواجهة الصعاب، والصمود حتى اللحظة الأخيرة، وأن يحوِّل الكرة تحت قدمه إلى هدف يسدده في مرمى الخصم.

وما من طفل يلعب كرة القدم ويعشقها منذ نعومة أظافره، إلا ويحلُم بأن يصبح نجمًا كبيرًا في المستقبل.

لم يشأ القدر "**لأردوغان**" أن يصبح نجمًا في كرة القدم، ولكن أعوامه التي قضاها مع كرة القدم دفعته دفعًا للمثابرة والتخطيط السليم، وأكسبته الاتزان ورسم الاستراتيجيات، وعلمته معنى النصر والهزيمة، ومنحته الثقة بالذات، ووهبته الإقدام والمثابرة.

وإلى جانب اهتمام "**أردوغان**" البالغ بالرياضة، وتمرسه في كرة القدم، فقد كان تخرجه في مدرسة (**الأئمة والخطباء**) عاملاً داعمًا لمسلكه السياسي؛ إذ إنه عرف كيف يُقدر خصائص ومفردات البيئة التي نشأ فيها، ويحترم عاداتها وقيمها الأخلاقية، واستطاع أن يجذب انتباه كل من يستمع إليه؛ بسبب أحاديثه وخطبه المؤثرة والثرية بالآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة، علاوة على تمتعه بأساليب بلاغية ومهارات خطابية متميزة.

كان لا يزال في الثانية والعشرين من عمره عندما تولى رئاسة (**جناح الشباب**) بـحزب (**السلامة الوطني**) (*) بحي (**باي أوغلو**) في اسطنبول عام 1976م. وفي العام نفسه تولى رئاسة جناح الشباب عن محافظة اسطنبول كلها.

(*) **حزب السلامة الوطني:** يُعد حزب السلامة الوطني امتدادًا أصيلاً لتيار حركة الفكر الوطني؛ فهو ثاني الأحزاب السياسية التي أسستها الحركة بعد حزب النظام الوطني. ويمثل هذا الحزب تطـورًا في الرؤيـة =

وفي عام 1984م تولى رئاسة شعبة (**باى أوغلو**) في حزب الرفاه الذي يعد استمرارا لفكر وأيديولوجية حزب السلامة الوطني. وفي عام 1985م أصبح رئيسًا لشعبة اسطنبول في حزب الرفاه وعضوًا في اللجنة العليا لإدارة الحزب.

وأردوغان الآن أيضًا مرشح لرئاسة بلدية اسطنبول الكبرى. وكان **"أردوغان"** يتولى إدارة شعبة حزب الرفاه في اسطنبول منذ عدة أعوام وقد تربى على يديه الكثير من الفتية والشباب، كما نشط على يديه الجناح النسائي في الحزب؛ إذ خاضت النساء تجاربها الأولى في العمل السياسي الميداني خلال فترة ترشح **"أردوغان"** لرئاسة بلدية (**باي أوغلو**). وكان أولئك الشباب وتلك النسوة يبذلون الغالي والنفيس بكل إخلاص وتضحية لا تقل عن روح (**النضال الوطني**) (*)، وجُل هدفهم أن يرفعوا الريِّس **"أردوغان"** إلى مقعد رئاسة بلدية اسطنبول الكبرى.

* * *

كُنا بالطبع ندرك أن الطريق إلى رئاسة بلدية اسطنبول ليست سهلة ممهّدة. وكُنا نكافح للمرة الأولى معتقدين أن هذه السبيل قد تمتلئ أمامنا بالمزالق، أو قد تكون طريقًا مظلمة موحشة مليئة بالأخطار.

وبينما كان الليل على وشك أن يرخي سدوله على اسطنبول، كان الضيق الذي ملأ نفوسنا طوال اليوم قد بلغ ذروته بخبر مفجع مؤلم، فقد تم تفجير مقرنا الانتخابي في (**صاماندیرا**)، وراح أخ من إخواننا ضحية هذا التفجير، ونُقل إلى المستشفى عدد من إخواننا الجرحى، وعلى الفور هرعنا إلى مستشفى (**قارتال**) الحكومي. لزيارة إخواننا الجرحى، وأبلغناهم تمنياتنا بالشفاء العاجل، ثم انتقلنا إلى حجرة كبير الأطباء للحصول على معلومات عن إخواننا المصابين، ولإجراء تقييم عاجل للموقف.

= الإسلامية للعمل السياسي سواءً من حيث برنامجه، أو من حيث ممارساته ومشاركاته في العملية السياسية خلال عقد السبعينيات. وقد تأسس الحزب عام 1973م ثم أُغلق في الانقلاب العسكري عام 1980م، ليتأسس حزب الرفاه بعده في عقد التسعينيات.

(*) **النضال الوطني:** حي حركة التحرير والنضال الوطني التي قامت بها جموع الشعب التركي وجنوده وضباطه ضد المحتلين خلال الفترة من عام 1918م إلى 1922م. ودوَّنت أدبيات التاريخ التركي المعاصر قصص وبطولات حقيقية تمثِّل روح الفداء والتضحية والتجرد قام بها المسلمون عامة من أتراك وعرب وأكراد وغيرهم للدفاع عن تركيا وتحريرها من المحتلين.

لم يكن هناك مجال لأي منا حتى يتحدث. فكنا من ناحية نسعى لإخفاء الألم الذي يعتلج في صدورنا، ومن ناحية أخرى على وشك الانفجار من الغضب. في حين أننا كنا مضطرين لأن نستجمع قوانا في أسرع وقت ونجري تقييمًا صحيحًا للموقف.

وفجأة قطع صمتنا صوت أفزعنا وزادنا توتر إلى توترنا ... كان صوت هاتف **"أحمد أرغون"**. والحقيقة أن الهاتف لم يكن يرن، بل كان يصم آذاننا. فكتمنا جميعًا أنفاسنا، وحرصنا على الاستماع إلى ما يقوله المتحدث:

"لم تأخذوا تحذيراتي مأخذ الجد"، ويواصل الصوت المشئوم، قائلاً: **"قلت لكم إن الدماء ستراق، فلم تهتموا . هذا هو التحذير الأخير لكم ...! لديكم الليلة عمل آخر، سيلقي مرشحكم خطابًا هذه الليلة، فقولوا له أن يتراجع، ويسحب أوراقه، وإلا سيُضرب أثناء خطابه"**.

ننظر جميعًا إلى السيد **"أردوغان"**، وقد علا وجهه ثبات عميق بدد كل تردد أو مخاوف انتابتنا. كان واضحًا أن عقيدته قد جعلته ثابتًا حرًّا إلى درجة لا يخشى معها أي قوة دنيوية، وأنها قادرة على التحدي عند اللزوم ومجابهة كل الصعاب. كانت هذه الروح المطمئنة القوية تنفث فينا جميعًا الشجاعة والجرأة.

فيقول الرئيس لنا:

"أيها الإخوة، ليذهب كل منا إلى عمله ... ولنواصل أعمالنا".

كان **"أردوغان"** سيلقي خطابه من فوق حافلة صغيرة. وقد تراص حوله إخواننا والعاملون بالحزب فداءً له عن حب وطواعية.

وكان من بين هؤلاء الإخوة من يحمل أسلحة مرخَّصة. كما كانت معنا بنادق ! والتففنا حوله نحميه والأصابع على الزناد، وقد تملكنا التوتر والقلق، حتى لو أن طفلاً ألقى مفرقعة عن غير قصد لاندلعت معركة حربية لا يُعلم منتهاها.

وينهي **"أردوغان"** برنامجه الانتخابي بخطبة قصيرة إلى حد ما.

وبينما كنا ننهي عملنا ونستعد للتحرك من أجل توصيل **"أردوغان"** إلى بيته، دق الهاتف **مرة أخرى:**

"الليلة لم تنته بعد"، ويواصل ذلك المتحدث تهديده فيقول: **"أمامكم طريق طويلة إلى أن تصلوا إلى البيت ... نحن خلفكم"**.

وبينما كُنّا على وشك القول بإننا أتممنا اليوم عملنا بخير دون مشكلة أو حادثة، إذا بهذا الهاتف يلقي بنا في غيابات الجُبِّ مرة أخرى. إنه الانزعاج والسأم والتشاؤم، كُنا قد وصلنا إلى أقصى حدودنا حتى بلغ بنا الأسى مبلغه لنقول "كفى"، فنحن في حالة تيقظ وتنبه واستنفار؛ ولكن ما فائدة ذلك...

فقد كان واضحًا مدى جدية أولئك الأشخاص... كانوا على علم بكل خطوة نخطوها... كنا في مرمى هدف منظمة تتحدانا عن بُعد، وتوظف في ذلك أجهزتها التكنولوجية.

ولكن ماذا سنفعل ؟

* * *

لم نكن قد أخبرنا أحدًا قط حتى الشرطة عن مكالمات التهديد الهاتفية تلك. فلم نكن نعتقد بأن هناك أي شخص داخل صفوف الدولة يمكنه أن يمنع ما يمكن أن يحدث. وعندما التفتنا ونظرنا خلفنا وجدنا الكثير من الأحداث التي يمكن أن تؤكد ظنوننا.

كان الذين يهددون **"أردوغان"** بالموت يفعلون ذلك لغرض سياسي. فمن ذلك الذي تقرر اغتياله لأسباب سياسية ثم نجى بالاحتماء بقوات حراسته؟ ... ودعنا من المدنيين، فأين أولئك الجنرالات والضباط ذووا الرتب العليا الذين كانت لهم مكانتهم داخل مجالس القوات المسلحة مثل **"خلوصي صاين"** و**"أشرف بيتليس"**، و**"بختيار آيدين"**، أليسوا الآن تحت التراب ؟! إن أولئك الضباط والجنرالات راحوا ضحية عمليات اغتيال وليس في حرب ضد اليونان. وهل استطاع رئيس تركيا العظيم الراحل **"طورغوت أوزال"** أن ينقذ **"عدنان قهوجي"**، وكان يعده مثل أبنائه. من مخالب موتة مشبوهة ؟ وكذلك حادث اغتيال الصحفي **"أوغور موجو"**، فبأي ذنب قُتل ؟ ... ولكن **"أردوغان"** لا يكترث بمثل هذه التهديدات ولا ترهبه حوادث الاغتيالات.

إننا عندما نراجع هذه الجرائم السياسية نجد أنفسنا أمام حقيقة أقل وصف لها أنها مرعبة؛ ففي هذه الدولة ينبغي عليك ألا تجعل من نفسك **"عنصر تهديد"** حتى لا يكون القتل مصيرك. فحتى وإن حاولت تقديم حلول لمشكلة خطيرة بإصلاحات سلمية؛ فإن ذلك يعني أنك قد تدخلت في ساحة العمليات الخاصة بالدولة، وهو ما يكفي لأن

تصبح أنت ذاتك "**عنصر تهديد**". أما إن كنت تشغل منصبًا مهمًّا داخل أجهزة الدولة فإن التخلص منك سيحمل عنوان "**عاجل جدًّا**".

لم يكن "**أردوغان**" موظفًا في دائرة من دوائر الدولة، كان – فقط – رئيسًا لشعبة حزب الرفاه في اسطنبول. ولما كان الذين يعملون معه ينادونه "**بالريس**"؛ فإن ذلك نابع من أن رحلته مع الزعامة قد بدأت منذ زمن طويل. كان نجمه يلمع بسرعة كبيرة، ويتمتع بقدرات خاصة للوصول إلى الناس بسهولة ويسر. حيث يضع مشكلات دولته في بؤرة اهتمامه. وكان "**أردوغان**" يتحدث بلغة لم يعتادها النظام القائم؛ فهو يسعى لفهم الأوضاع الحقيقية الواقعية في منطقة جنوب شرق تركيا وخاصة ما يعانيه الأكراد بها. ولم يكن يتصرف باعتباره رئيسًا لشعبة من شعب حزب الرفاه، بل كان أشبه بزعيم وضع نصب عينيه الإحاطة بكل مشكلات دولته صغيرها وكبيرها، فلا يتهرب من تحمّل مسئولياته. وكان يأمر مستشاريه بإعداد التقارير عن مشكلة الأكراد، ويتحدث عما يتعرض له سكان تلك المنطقة من ظلم الدولة بنفس القدر الذي يتحدث به عن ظلم حزب العمال الكردستاني. وكان يدعو الدولة إلى التراجع عن سياساتها العرقية والقمعية.

وبينما كانت النخبة التركية خلال مرحلة قيام الجمهورية التركية وإنشاء الدولة القومية قد عرّفت الإسلام والهوية الكردية بأنهما خصمين للدولة على أعلى درجة من الخطر والتهديد، نجد في المقابل "**أردوغان**" يشارك في الحياة السياسية بوصفه مسلمًا صحيح الاعتقاد يطرح حلولاً لمشكلات وطنه وفق رؤية إسلامية. فقد كانت منطلقاته الإسلامية وزعامته تحمل إيماءات وإشارات تزعج النظام. وفوق كل هذا كان "أردوغان" يستخدم لغةً مختلفةً تمامًا، تتسم بالعدل والحياد بعيدة عن الخطاب الرسمي خاصة في معالجته للمشكلة الكردية. وبعد كل ذلك، أفلا تكون طروحات "**أردوغان**" ومواقفه هذه نذيرًا لأولئك النفر فتدفعهم لاتخاذ تدابيرهم من الآن ؟

* * *

وعندما حاولنا الوقوف على مدى جدية الأمر، والتنبؤ بالنتائج التي سيسفر عنها الوضع الذي تعرضنا له، ولكننا مع الأسف لم نستطع الخروج من هذا الأمر بشيء

يذكر. يستمع (**الريس**) للنقاشات، ويصرح بقراره النهائي: "**الخوف لا يزيد من الأجل شيئًا ... فلنتجه إلى بيوتنا مباشرة الآن** "... وكم يرتاح الإنسان ويطمئن بسماعه صوتًا قويًّا حازمًا.

ودعوني أصف لكم خطة العودة إلى المنزل؛ كانت المائة متر الأولى بعد الدخول إلى الطريق المؤدية إلى البيت من شارع (**قيسيقلي**) مسافة قصيرة ولكنها على درجة عالية من الخطورة. فعلى امتداد الطريق تصطف أشجار قصيرة متشابكة الأغصان يمكنها أن تُخفي وراءها المخاطر والمفاجآت، فوضعنا خطة التحرك لاجتياز هذه الطريق الخطرة راجين من الله النجاة والسلامة.

وحسب الخطة ففي السيارة الأولى سيركب الإخوة المكلفون بالحراسة، وسنجعل سيارة الريس في منتصف الموكب، وكان الريس في سيارة "**مصطفى أردوغان**" يجلس على المقعد الخلفي، وكان "**أحمد أرغون**" سيجلس إلى جواره، بينما "**أحمد تشاملي**" سيقود السيارة كالعادة.

من الصعب عليَّ أن أتذكر كيف اجتزنا هذه الطريق التي أخذت تمتد بنا وتطول كأنها لا نهاية لها. كل ما أتذكره أننا بعد هذه المغامرة – التي لا تقل عن مغامرات أفلام الرعب – أننا وصلنا إلى المنزل بسلام وأمان وقد تصببنا عرقًا، وأنهكنا الجهد.

كنا سنلتقي في المكتب الموجود بالطابق السفلي من المبنى ذاته، وفيه تكوم كل منا على مقعد ينشد الراحة. وفجأة بدد صوت الهاتف السكون المهيمن على الحجرة، فقفزنا من أماكننا، فها هو القاتل يتصل بنا. كتمنا جميعًا أنفاسنا، وأخذنا ننظر إلى وجه "**أحمد أرغون**"، وحرصنا على متابعة كل تغير يتبدّى على وجهه إلى أن انتهت المكالمة، ولكن وجه الأخ "**أحمد**" كان يزداد بهاءً وسرورًا بمرور الوقت، وبالفعل غمرتنا السكينة والاطمئنان هذه المرة...

– "**ماذا قال ؟** "

لم يكن الأخ أحمد يسمعنا، بل كان يكرر الكلمات التي سمعها مع نفسه كأنما يهذي : "انتهى ! الكابوس، انتهى ! "

– "**يا أخي أحمد ماذا قال ؟ قل لنا، ما الذي انتهى ؟ وما ذلك الكابوس ؟**"

– قال: "**إن ...** "

- "**نعم ...**"

- قال: "**مرشحكم أثبت إنه رجل**"، "**إنه جدير بالترشُّح ! ...**"

- أهذا فقط كل شيء ؟ أكل ما رأيناه اليوم وعانيناه من صعوبات من أجل هاتين الكلمتين ؟ "**مرشحكم رجل ! ...**" حسنًا، اعلموا هذا الآن فقط ؟

ما يمكن أن نفهمه هنا أن أولئك النفر كانوا يريدون توجيه رسالة إلى "**أردوغان**" ظاهرها القتل وباطنها دون ذلك، رسالة مفادها، يمكنك أن تصبح رئيسًا لاسطنبول، بل ويمكنك أيضًا أن تصبح رئيسًا لوزراء تركيا، ولكن عليك أن تلعب اللعبة وفق قواعدنا... وألا تنسى من هو الرئيس ... وعليك أيضًا ألا تفسد لعبة التوازن السياسي التي ندبرها...

حسنًا، فهل رضخ "**أردوغان**" لهذه الرسالة ؟

حاشا وكلا ...

تقع محافظة (**ريزه**) في منطقة البحر الأسود بشمال تركيا. ويعيش أهلها بين جبال شاهقة وسهول خصبة يانعة. وقد أضفت هذه الطبيعة على سكان محافظة (**ريزه**) سمات مميزة، فتراهم يميلون إلى الشجار ولكنهم لا يضمرون حقدًا لأحد، يغضبون بسرعة ويهدأون بسرعة أيضًا، ويتميزون بصفات عديدة منها الشجاعة والإقدام، والذكاء الحاد، والهمة العالية في العمل.

وينتسب "**أردوغان**" إلى هذه المحافظة، وهو بهذا يتمتع بصفات ومميزات أهلها. عاش والده "**أحمد أردوغان**" في محافظة (**ريزه**) فترة طفولته، ورحل عنها عام 1918م وهو لا يزال في الخامسة عشر من عمره، واستقر به المقام لدى بعض أقاربه في محافظة (**زونغولداق**)، ثم رحل عنها بعد أربع سنوات ليستقر به المقام في اسطنبول.

وكان "**أحمد أردوغان**" قد فقد والده وهو في الرابعة عشر من عمره، ولهذا اضطر إلى تجشم صعاب الحياة وهو في سن صغيرة. وقبل أن يغادر محافظة (**ريزه**) اجتمع كبراء عائلته، وزوجوه بسيدة لديها طفلين حتى تكون له عونًا له في غربته.

واستمر هذا الزواج لمدة أربع وثلاثين عامًا. وفي عام 1952م طلّق "**أحمد أردوغان**" زوجته الأولى، وتزوج بعد عام بأخرى اسمها "**تنزيله**". التي أنجبت له أول أبنائه وهو "**رجب طيب**" في 26 فبراير / شباط 1954م. وبعد أربعة أعوام رزقا بمولودهما الثاني "**مصطفى**". وبعد ثمانية أعوام أخرى أي وهو في الثالثة والستين من عمره تُنجب له زوجته طفلة طالما اشتاق إليها.

بدأ "**أحمد أردوغان**" حياته العملية عاملاً في إدارة الشئون البحرية، وظل يعمل بها إلى أن أُحيل إلى التقاعد عام 1968م. وكان "**أحمد أردوغان**" بحّارًا يتسم بالتديّن والمواظبة على أداء الصلوات. ومن فرط ولعه بالبحر اتخذه مسلكًا له لأداء فريضة الحج عام 1958م. واتسم أيضًا بالوفاء الشديد بقدر تدينه، فلم ينس أبدا مسقط رأسه التي رحل عنه وهو في سن صغيرة.

ويحكي مصطفى أردوغان فيقول: "كان بيتنا يستضيف كل من يأتي من محافظة ريزه إلى اسطنبول. ففي الثلاثينيات والأربعينيات كان شباب أهل ريزه ينزحون نحو اسطنبول للبحث عن فرصة عمل، وكانوا يبيتون على أسطح المراكب الراسية في الموانئ. وبعد أن تزوج والدي بأمي تمكن من الحصول على بيت أفضل، وبدأ يستضيف أهالي بلدتنا في بيتنا. وإنني لأذكر جيدًا أن بيتنا كان يستضيف كل من يأتي إلى اسطنبول بحثًا عن العمل، أو من أجل إنجاز مصلحة حكومية، أو للعلاج، ولم تكن تمر ليلة إلا وفي بيتنا ضيف".

كان "**أحمد أردوغان**" يقطن في حي (**طوبخانه**)، وبعد أن تزوج من السيدة "**تنزيله**" انتقل إلى حي (**سنان باشا**)، وظل به 22 عامًا. ثم اشترى شقتين من مكافأة نهاية الخدمة عندما أُحيل إلى التقاعد. ويحكي "**مصطفى أردوغان**" فيقول: "**عشتُ مع أخي الأكبر رجب طيب في إحدى هاتين الشقتين، وبقيت أُختي مع أبي وأمي في الشقة الأخرى، وعندما تزوج رجب طيب في 1978م انتقلت للحياة مع أمي وتركنا الشقة لأخي.**"

كان "**أحمد أردوغان**" لا يأمل خيرًا كثيرًا من دراسة ابنه الصغير بسبب كسله، بينما لم يساوره شك في أن ابنه الأكبر "**رجب طيب**" سيكمل تعليمه ويصبح شخصية عظيمة. فبينما كان "**رجب طيب**" في المدرسة الابتدائية، قام مدير المدرسة باستدعاء والده، وتحدث إليه وأوصاه بأن يحرص على تعليم ابنه هذا إلى أعلى مستوى يمكنه أن يصل إليه في التعليم.

وتدرج "**رجب طيب**" في مراحله التعليمية حتى دخل مدرسة (**ثانوية الأئمة والخطباء**)، وفاز فيها بمنحة الإقامة المجانية. ولم تمر فترة وجيزة حتى أصبح "**أردوغان**" واحدًا من أبرز طلاب المدرسة، يشارك في كافة أنشطتها، فيلقي الشعر، وينضم إلى فريق كرة القدم بالمدرسة، ويلعب كذلك الكرة الطائرة فيها، كما أنه كان عضوًا أساسيًّا في فريق مسابقات المتفوقين باسم المدرسة. وعلى النقيض من معظم طلاب المدرسة النازحين من منطقة (**الأناضول**)، كان "**أردوغان**" يُعد من أهل اسطنبول من حيث المولد والنشأة، ويتصف بكل المميزات التي تضفيها هذه المدينة على أهلها.

وقد رغب والده في أن يدرس "**رجب طيب**" في المدرسة الداخلية إيمانًا منه أنها ستوفر له مناخًا أكثر نظامًا وانضباطًا. وكان "**رجب طيب**" يحصل على عطلته الأسبوعية من المدرسة الداخلية حتى يقضيها مع أسرته، غير أنه لم يكن يفعل ذلك بل كان يستثمر هذه العطلة في العمل والتكسب؛ فقد عمل بائعًا للسميط والماء في شوارع اسطنبول، وكان ينفق معظم ما يحصل عليه من أموال على شراء الكتب. ولذلك تجمعت لديه مكتبة كبيرة وهو لا يزال في مراحل دراسته الأولى.

ويتحدث "**مصطفى أردوغان**" عن أعوام دراسة "**رجب طيب**" فيقول: "كانت مكتبة أخي رجب طيب تضم العديد من الكتب القيمة وعلى رأسها كتب "**سردانغتشي**"(*) و"**نجيب فاضل قيصه كورك**" (**)، و"**محمد عاكف ارصوى**"(***). بالإضافة إلى كلاسيكيات الأدب الروسي وخاصة روايات "**تولستوي**" التي كنت أستعيرها من مكتبة أخي وأقرأها.

وبعد أن أنهى "**رجب طيب**" مدرسة الأئمة والخطباء كان يتحتم عليه الحصول على بعض المقررات الدراسية التكميلية حتى يتمكن من الالتحاق بالجامعة. ولم يكن ذلك الأمر يمثل صعوبة له. وقد نجح بالفعل في امتحان القبول بالجامعة ودخل "**المعهد العالي للعلوم الاقتصادية والتجارية**" وهو المعهد الذي تم تحويله إلى كلية (**العلوم الاقتصادية والإدارية**) بجامعة (**مرمرة**) في اسطنبول، وتخرج منها عام 1981م.

* * *

(*) **عثمان يوكسال سردانغتشي:** كاتب وصحافي تركي وُلد عام 1917م وتُوفي في 1983م. وله مؤلفات عديدة في مجال الفكر والسياسة تركت أثرًا إيجابيًا لدى أجيال الشباب في تطوير الفكر السياسي ومسارات العمل الديمقراطي.

(**) **نجيب فاضل قيصه كورك:** مفكر وشاعر تركي إسلامي وُلد عام 1905م وتُوفي في 1983م. ويُعد رائدًا من رواد الأدب الإسلامي في تركيا المعاصرة، وصاحب مدرسة فكرية أثّرت على أجيال الحركة الإسلامية في تركيا.

(***) **محمد عاكف ارصوى:** مفكر وشاعر تركي إسلامي وُلد في أواخر الدولة العثمانية عام 1873م وعاصر بدايات عصر الجمهورية التركية وتُوفي في 1936م. ويُعد رائد الشعر الإسلامي في تركيا، اهتم بقضايا الأمة الإسلامية والبحث عن عوامل نهضتها مرة أخرى. وهو مؤلف النشيد الوطني التركي.

بدأ عشقه لكرة القدم منذ أن كان في الصفوف الأولى من المرحلة الابتدائية، وازداد تعلقه بها في المرحلة الإعدادية والثانوية. وتمكن من تطوير قدراته وتنمية موهبته بمرور الوقت في هذه الرياضة. وفي تلك الأيام جذب **"أردوغان"** الأنظار إليه بخفة حركته وحيويته ونشاطه، وانتقل إلى النادي الرياضي (**جامع التى**) بعد أن قبل عرضًا منه يحصل بمقتضاه على ألف ليرة شهرية. وأطلق عليه أصدقائه لقب **"الإمام بيكن بور"**، وقد استلهموا ذلك اللقب من أسلوبه في اللعب الذي يذكرهم باللاعب الشهير **"بيكن بور"**. وفي عام 1975م انتقل إلى نادي (**هيئة الترام والأنفاق باسطنبول**)، وأصبح واحدًا من أعضائه، يتربح من لعب كرة القدم به.

كان والده **"أحمد أردوغان"** يعتقد بأن تعلق ابنه بكرة القدم تعلقًا عارضًا، ولم يكن على دراية بالمراحل التي قطعها في طريقه للاحتراف. وبعد فترة استشاط والده غضبًا عندما علم بعرض أرسله نادي (**اسكى شهير**) الرياضي لابنه يطلب منه الانتقال إليه واللعب ضمن فريقه. فلم يأذن له بقبول ذلك العرض وقال له **"إنما أردت لك أن تتعلم وتصبح رجلاً، فإذا بك تنشغل بأمور وشواغل لا علاقة لنا بها"**. وهو ما صرح به **"طيب أردوغان"** بعد أعوام إلى أحد الصحفيين بقوله: **"لقد فقدت الكثير من الفرص المشابهة بسبب والدي"**.

عبر **"أردوغان"** عن واحدة من هذه الفرص ومدى تحسره عليها بقوله: **"فَقَدتُ"**. بل ولعلها أهم فرصة فقدها، وهي العرض الذي قدمه له نادي (**فنار باهتشه**) بالانتقال إلى فريقه والانضمام إلى لاعبيه.

وفي عام 1976م كانت المباريات النهائية للهواة في اسطنبول تجرى على استاد (**الوفاء**). وكان أداء **"أردوغان"** الذي كان يلعب مهاجمًا في فريق نادي (**الترام**) على درجة عالية من المهارة أثارت إعجاب **"توما كالا بيروفتش"** المدير الفني لنادي (**فنار باهتشه**) آنذاك. فما كان من **"كالا بيروفتش"** إلا أن قدم عرضًا لإدارة نادي (**الترام**)، طلب فيه انتقال **"أردوغان"** للعب ضمن فريق (**فنار باهتشه**).

وما أن تم إبلاغ **"أردوغان"** بهذا العرض حتى طار من الفرح والسرور، غير أنه تذكر أن والده قد يرفض هذا العرض؛ فاستمهل إدارة النادي يومين للتفكير، وعندما

أيقن أن كل جهد سيبذله لإقناع والده لن يسفر عن النتيجة المرجوة، اضطر لرفض هذا العرض الذي كان من الممكن أن يغير خط حياته إلى وجهة مختلفة تمامًا.

وبينما كان يواصل حياته ومغامراته مع كرة القدم كان على الدرجة ذاتها من الأداء والاستمرارية في العمل السياسي. فكان يؤدي المهام التي يكلف بها داخل (**الاتحاد الوطني للطلبة الأتراك**) (*) خلال الأعوام التي دخل فيها الجامعة، ولم يكن يمتنع كذلك عن القيام بأي نشاط داخل جناح الشباب بحزب (**السلامة الوطني**) فيشق بذلك لنفسه طريقًا نحو دنيا العمل السياسي.

وعندما أصبح رئيسًا لجناح الشباب في شعبة (**باى أوغلو**) داخل حزب السلامة الوطني عام 1976م، كان على يقين بأنه قد دلف إلى طريقٍ لا عودة منه، وأن السياسة في حياته قد أضحت أمرًا لا محيص عنه.

ولم يمر وقت طويل حتى أدرك شيئًا أبعد من ذلك، فقد كان في حياته فراغٌ لم تستطع كرة القدم أو السياسة ملؤه، حيث كان في الثالثة والعشرين من عمره ولم يتزوج بعد.

وأثناء أحد الاجتماعات التي نظمها حزب (**السلامة الوطني**) عام 1977م أدرك "**أردوغان**" أن الفراغ الذي يملأ نفسه لن يستمر طويلاً، وذلك عندما التقت عيناه بعينين يعلوهما الخجل كانتا ترقبانه بإعجاب.

وقد صرح "**أردوغان**" بعد ذلك عن إحساسه، وما شعر به في تلك اللحظة بقوله: "**في الحقيقة كان شعورًا لم أعشه مطلقًا قبل ذلك اليوم**".

وإن يكن "أردوغان" قد اضطر للاعتراف صراحة بهذه المشاعر، فإن التعبير الذي يمكنه أن يصف تلك المشاعر بلغتنا اليوم هو أنه كان حبًّا من النظرة الأولى.

كانت هذه الفتاة الشابة هي "**أمينة غولباران**"، وقد وصفت مشاعرها آنذاك بقولها: "**ونحن أيضًا شعرنا به في عالم الحب**".

كانت "**أمينة غولباران**" آنذاك رئيسًا ثانيًا لجمعية (**السيدات المثاليات**)، وهي جمعية أسستها مع "**شعلة يوكسال**" في (**اسكودار**). وكما وصفتها إحدى صديقاتها: "**فإنها**

(*) **الاتحاد الوطني للطلبة الأتراك**: هو تنظيم ثقافي شكَّلته حركة الفكر الوطني بزعامة "**نجم الدين إربكان**" يستهدف تنشئة الشباب والطلاب على المفاهيم الإسلامية، وتثقيفه بالمعارف والمضامين الفكرية الإسلامية التي أنتجها رواد الحركة الإسلامية في تركيا وخارجها.

إنسانة رقيقة المشاعر، ولكنها تملك عزيمة وإصرار كبيرين، مقدامة، ومتمالكة النفس مسيطرة على انفعالاتها، ولا تحيد أو تنثني عن تحقيق أهدافها، وفضلاً عن ذلك فهي تقرأ القرآن بتلاوة وطلاوة".

وعلى الفور اغتنم **"أردوغان"** هذه الفرصة الجميلة التي وهبها له القدر. فتزوجا في الرابع من يوليو / تموز 1978م. ورزقا بأربعة أبناء هم **"أحمد براق"**، و**"نجم الدين بلال"**، و**"إسراء"**، و**"سمية"**.

كانت **"أمينة أردوغان"** تدرك تمامًا وهي توافق على طلب **"أردوغان"** الزواج منها بمن ستتزوج وعلى أي شيء ستتزوج، فقد قالت في أحد الحوارات: **"ما من إمرأة إلا وتريد أن تتزوج وتصبح أمًّا، إلا أنني بالإضافة إلى ذلك كنت أرغب في أن أساند زوجي في دعوته ورسالته، وكنت أدعو الله أن أتزوج بشخص قلبه متعلق بدعوته ومتمسك برسالته".**

وكان لـ **"أمينة أردوغان"** دور كبير في الاعتناء بالأسرة ورعاية أبنائها، ما جعل **"أردوغان"** يمضي في مشوار حياته السياسية التي تعج بالمشكلات والشواغل بخطى ثابتة.

وتصف **"سيبال الرسلان"** التي عملت في أول جناح نسائي شكَّله حزب الرفاه في اسطنبول عن **"أمينة أردوغان"**، ساردة بعضًا من سماتها فتقول: "عندما دخل أردوغان السجن كانت أمينة أردوغان تدير أعماله بمفردها، وكانت ستلقي كلمة من أجل مواساة بعض أعضاء الحزب الذين اجتمعوا في إحدى القاعات في حي **(تشكما كوى)**، وكانت القاعة مكتظة بالحضور لدرجة أن صاحب القاعة قد حذرنا بأن المبنى قد ينهار من كثرة الحضور. وكان دخول أردوغان السجن ظلمًا سببًا في استشاطة الناس غضبًا، وما أن سمع الناس بحضور أمينة أردوغان حتى توافدوا إلى القاعة من كل حدب وصوب. وقد كتبت بنفسها نص كلمتها، وكان نصًّا رصينًا قويًّا للغاية. وكان صوتها يرتجف وهي تقول: **"هذه الأيام ستمر وتنقشع وثمة أيام خير تنتظرنا"**، وهدّأت من غضب الحضور وانفعالاتهم بعد أن علت أصواتهم بالبكاء والنحيب. فقد كانت ذات صلابة وثبات مدهش. فكم كانت قوية، وكم كانت ذات عقيدة راسخة، حتى أنها

كانت تبدو وكأنها سيدة من سيدات الأمازون غير أنها محجبة. فلم تتوان قط عن أداء واجباتها؛ ولذلك لا أستطيع أن أقول إنها زوجة زعيم فحسب، بل هي سيدة تمتلك روح الزعامة وسماتها..."

* * *

وقد توصل المؤرخ التركي **"جزمى يورت سوَر"** إلى أن جذور عائلة **"أردوغان"** تمتد إلى القرن السابع عشر، وذلك طبقًا لوثائق الأرشيف العثماني. ومن أجداده **"باقات أوغلو ماميش"** الذي عاش في قرية **(دومان قليا)** بمحافظة **(ريزه)**، وكان من مؤسسي هذه القرية. وكان معروفًا برفضه للظلم ومجابهته للجور، وروحه الثورية العنيدة.

أما الجد القريب **"لأردوغان"**، فاسمه **"طَيُّوب"** وقد ورث صفات وتقاليد عائلته، ومات مقتولاً وهو يصلي في الجامع بسبب تصديه لمحاولة الاستيلاء على بعض أراضي الأوقاف الخيرية التابعة للقرية.

ويتحدث **"جزمى يورت سوَر"** عن أن أجداد **"أردوغان"** يحملون أيضًا جزءً من روح **(حي قاسم باشا)**.

إن روح **(حى قاسم باشا)** تُعد مثالاً واضحًا على مدى الترابط الاجتماعي في المفهوم الاجتماعي. أما عن المستوى اللاشعوري فهي وإن أدت إلى استدعاء صور نمطية للعجرفة والفتوة، فإنها تعبر بلغتنا حاليًا عن مفهوم يشير إلى أن الشاب المنتسب إلى **(حي قاسم باشا)** ينبغي وأن يتصف بالشجاعة والمروءة. ومن هذه الزاوية فإن جملة الصفات الحميدة والسلوكيات التي تعبر عن الشجاعة والمروءة إنما ترجع إلى الشخص ذاته أكثر من رجوعها إلى البيئة التي يقطنها فقط.

فالاتصاف بالشجاعة والمروءة يعد قدرة على التحدي، ورد فعل تلقائي قادر على تطوير البيئة ضد نمط الحياة النخبوي. فالشخص الذي ينتمي إلى هذه الفئة عندما يعبر عن غضبه، فإن المتلقي سرعان ما يظن بأن ذلك الشخص ناقص الخلق وضعيف التربية.

إن الحداثة وهي فكر يتعارض مع البنى التقليدية ويرفضها، إنما تتجه إلى امتهان بعض المفاهيم التي تمتلكها تلك البنى، بل وتتجاهل وجودها في بعض الأحيان. وفي

هذا الإطار فإن مفهوم (**الشجاعة والمروءة**) مفهوم من الصعب أن نجد له مقابلاً داخل إطار الحداثة، أو أن تكون نوعًا من (**الصعلكة**) حسب تصنيف ماركس لها ضمن التصنيفات السلبية.

وفي الوقت نفسه يرى الشعب التركي أن انعكاس طبيعة (**حي قاسم باشا**) على "**أردوغان**" يعد في ذاته مزية أضفت على "**أردوغان**" الكثير من الصفات الإيجابية، بل هي شهادة في حق "**أردوغان**" تنضم إلى ملف مكونات شخصيته، وهو ما يدركه جيدًا ويعتز به، فيجعل سمات الشجاعة والمروءة المكتسبة لديه، تاجًا فوق رأسه يفخر به. فأردوغان يضع الحق فوق الأحكام والقيم التي تستند إليها المجموعة التي يمثلها، ولا يجد حرجًا في ذلك، فهو يتحرك واثقًا بمعتقداته، لا يلعب دورًا غير حقيقته، فهو يتصرف وفق ما يمليه عليه ضميره ومعتقداته، ولا يشعر بكونه محتاجًا لأن يصبح شخصًا آخر.

وعلى سبيل المثال فإننا لا نرى "**أردوغان**" عندما يشارك في جنازة من الجنازات يرتدي نظارته الشمسية واقفًا في فناء المسجد يفرك كفيه بضيق، ولا نراه أيضًا يصلي في الصف الأول، ثم بانتهاء صلاة الجنازة يهرول نحو تعزية أقارب المتوفى، ثم يغيب عن الأنظار ليباشر أعماله الأخرى. بل على النقيض من ذلك كله فإن "**أردوغان**" نجده وقد نزل بكتفه تحت نعش المتوفى يحمله بكل تواضع

ونراه واقفًا في الصف الأول خلف الإمام ليصلي صلاة الجنازة وعقب الصلاة يقدم تعازيه لأقارب المتوفي، ويبقى بينهم يشاطرهم الأحزان. بل إننا نراه بكل سماحة وتواضع يدخل بكتفه تحت النعش يحمله مع الآخرين. والناس في هذا لا يساورهم الشك مطلقًا أن "**أردوغان**" يفعل ذلك سياسة واصطناعًا، بل يُدركون تمامًا أنه صادق ومخلص فيما يفعل، فهم يعلمون أن "**أردوغان**" لديه من القدرات والمؤهلات العلمية والنفسية ما يجعله قادرًا على أن يجمع الناس خلفه ويصلي بهم صلاة الجنازة.

إن "**أردوغان**" وهو يفعل ذلك، لا يفعله ليرائي به جمهور المحتشدين في مدرَّجاتهم؛ فقد لعب داخل المستطيل الأخضر أعوامًا طويلة أمام آلاف المشجعين، ولم يعد يأبه بالناظرين إليه والمتتبعين له. إن "**أردوغان**" زعيمٌ خرج من رحم الشعب، ويوظف هذه المزية ليفهم الشعب ومتطلباته فهمًا جيدًا، وقد وفق في ذلك إلى حد كبير.

أردوغان مرآة للشعب

"خدمة الشعب طاعة للحق" كلمة يرددها رجال السياسة جميعهم، ويكثرون في استخدامها، بيد أن دلالة هذه الكلمة العميقة الجوهرية تتكرر على الأذهان خلال فترات الانتخابات فقط، فلا تكاد تعدو شعارًا يردده الساسة ثم تتلاشى أصداؤه بمرور الوقت.

أما **"أردوغان"** فلم يستخدم هذه الكلمة في يوم من الأيام باعتبارها **(كلمة)**، أو **(شعارًا)** يردده، ثم يطويه النسيان، بل على العكس تمامًا، فنجد **"أردوغان"** قد أدرك أبعاد هذه الكلمة وما تعنيه من مسئوليات وتبعات إدراكًا عقيديًّا دينيًّا يجعل من **(الخدمة)** مرادفًا **(للعبادة)**.

كان **"يوسف بايزيد"** رئيسًا لدائرة الأملاك والعقارات خلال الفترة التي تولى فيها **"أردوغان"** رئاسة بلدية اسطنبول وقال إن قوانين التأميم التي استصدرناها في تلك الفترة كانت تقضي بأن يتم التأميم بالحصول على 98٪ من موافقات الأهالي، ويتبقى فقط 2٪ لقرار المحكمة.

فتدخل **"فيصل أر أوغلو"** في الحديث بقوله: **"في بعض الأحيان لا تكون موافقة الأهالي كافية وحدها"**، وأضاف: **"الأهم من ذلك أن تأخذوا بعين الاعتبار أيضًا المشاعر والأحاسيس الوجدانية التي تسيطر على رئيس البلدية السيد أردوغان"**.

"وكيف هذا ؟ "

"سأوضح لكم" ، وأخذ يقص علينا واقعة بدا وكأنه لم ينس منها شيئًا:

"كنا قد استصدرنا قرارًا بهدم إحدى القرى التي تقع عند نهاية أحد الجداول النهرية باسطنبول، واتفقنا مع أهل القرية بشأن التعويضات المالية المناسبة، وكانوا سيقومون بإخلاء القرية برغبتهم، وذهبنا إلى القرية لإتمام عملية الهدم.

وصلنا في ذلك اليوم إلى القرية ومعنا رجال الأمن، ومعدات الهدم من جرافات وكاسحات وكافة الأجهزة والمعدات اللازمة، واصطحبنا معنا أيضًا فريقًا طبيًّا. وكنا نبدو لمن يرانا من بعيد أشبه بوحدة عسكرية ضخمة خرجت لإجراء مناورة حربية.

ولما كان الأمر يتعلق بالهدم، وهو موضوع حساس بطبيعته، قال لنا "**أردوغان**" أنا أيضًا سأذهب معكم. فقلنا له بدورنا على الرحب والسعة، فلم يكن بمقدورنا أن نقول له غير ذلك.

جعلنا الأجهزة والمعدات ورجال الأمن خلفنا، وتقدمنا نحو أهالي القرية. وقد سُرّ أهل القرية وامتلؤا بالسعادة والفرح عندما رأوا "**أردوغان**"، واستقبلوه بالترحاب وأحسنوا ضيافته. وفجأة خرجت من بينهم إمرأة عجوز وتقدمت نحونا، وقالت لرئيس البلدية أردوغان: "**أهلاً بكم ومرحبًا يا بني**" وأردفت قائلة: "**لقد أعددت لك هذا (العيران)** (*) **بيدي، تذوقه وقل لي هل يشبه العيران الذي تصنعونه عندكم ؟**".

فأفسحنا المكان بيننا للأم العجوز. وقال لها أردوغان: "**شكرًا يا أماه.. أتعبتي نفسك.. سلمت يداك..**" وكان "**أردوغان**" قد أعجب بالأم العجوز ذات الوجه البشوش الباسم، وتأثر من حسن ضيافتها. فقال لها اقتربي يا أماه، وأحكي لنا قليلاً عن هذه القرية، فما أراك إلا واحدة من أقدم سكانها".

فقالت الأم العجوز: "يا بني وجدت نفسي في هذه القرية منذ أن تفتحت عيناي على الدنيا. فهذه القرية قديمة موغلة في القدم، غير أنها كانت أجمل وأروع مما تراه الآن... آه لو كنتَ رأيتها ... كانت تكسوها الخضرة، وتلفها الأشجار من كل جانب، وكانت أشجار الصفصاف الضخمة تمتد على شاطئي جدولها وقد امتدت وتشعبت أغصانها وفروعها على جانبيها حتى أن ذراعيك لا يسعها الإحاطة بها..."

"يبدو أنك يا أماه تحملين في داخلها الكثير عن هذه القرية"

"بالطبع يا بني ليت هذه الصخور والفروع والأغصان كانت لها ألسنة حتى تحدثكم وتقص عليكم ..."

واغرورقت بالدموع عينا الأم العجوز وهي تحكي عن ذكرياتها في هذه القرية، وكانت تتكلم حينًا ثم تتوقف، فتتنهد وكأن مرارة الحسرة والشوق قد غلبت عليها، فكنا نراها هائمة وقد ارتكزت عينها تتفحص نقوش الورود والأزهار المرسومة على سروالها القطني.

(*) **العيران:** مشروب تركي محلي يُصنع من الزبادي المخفوق، ويُشرب مضاف إليه قليل من الملح. ويفضله الأتراك مع الأطعمة خلال وجبتي الغذاء والعشاء. ويُعرف بفوائده الصحية للمعدة، وترطيبه للجسم في الجو الحار.

كانت تقص علينا ذكريات قديمة وكأنها كانت بالأمس القريب، كانت تذكرها جيدًا، فنقلت إلينا قصص الأحبة، وقد أمسك كل حبيب بيد محبوبته وسارا على شاطئ الجدول دون أن يعرفا للزمان زمانًا ولا للمكان مكانًا، ومنظر ظلال أشجار الصفصاف وقد امتدت فوق المياه من شروق الشمس إلى غروبها، وجسدت منظر قطعان الماشية والأبقار وهي ترعى وسط الحقول والوديان. ولعلها كانت تعيش مع الماضي وحدها. فهي تجد الهدوء والاستقرار الذي تبحث عنه بين ذكريات عمرها الذي يقترب من المائة عام.

أثرت علينا الأم العجوز، وهزّت مشاعرنا، وكنت أتمالك نفسي حتى لا يغلبني البكاء ، ونظرت إلى **"أردوغان"** فإذا بالدموع تنساب على وجنتيه.

وعندما هدأ **"أردوغان"** قليلاً قال لي: **"يا أستاذ فيصل، اجمعوا الأجهزة والمعدات، سنرحل من هنا ..."**

ظننت للوهلة الأولى أنه يمزح، ولكن عندما نظرت إلى وجهه وجدت عليه علائم الجد. وبقدر ما فهمته فإن **"أردوغان"** فطن إلى أن أهالي القرية غير راضين عن قرار الهدم، وأنهم ما وافقوا عن قناعة منهم بل عن خوف من الدولة.

وما وسعنا في النهاية إلا أن شرحنا لأهالي القرية الأسباب التي تدعونا لإخلاء القرية ونقل أهاليها إلى مكان آخر، واضطررنا لتأجيل الهدم إلى أن يقوم الأهالي بإخلاء بيوتهم عن رضا منهم.

وثمة الكثير والكثير من المواقف والأحداث التي تبرز الجانب الإنساني لدى **"أردوغان"** ويقص علينا **"برهان متين"** بعضًا من هذه الأحداث، وهو من أصدقاء **"أردوغان"** المقربين الذين يعرفونه حق المعرفة، وقد عمل معه خلال توليه منصب رئاسة بلدية اسطنبول يقول:

"قليل جدًّا أولئك النفر الذين يعيشون في هذه الدولة دون أن يعكر صفو حياتهم كدر أو مضر، فبعيدًا عن أولئك الذين يعيشون في بخوتهم والبيوت العائمة على ضفتي البوسفور لا تكاد تجد إنسانًا إلا وقد ألمت به مصيبة أو نالته غصة مما تجود به الحياة على بني الإنسان. فإما كانت مصيبتهم في عوائلهم أو كان الفقر والعوز مصدر وجيعتهم.

فنحن مجتمع حزين بائس، نحن مجتمع شرقي، فما الحياة التي نعيشها إلا مصدر شقائنا وبؤسنا. و"أردوغان" واحد ممن يشعرون بالآلام والأحزان. وهذا الجانب الإنساني فيه هو مركز جاذبيته؛ فالناس يرون فيه أحوالهم وأوضاعهم".

في الحقيقة هناك جانبان في شخصية "**أردوغان**". الأول: هو أردوغان الإنسان الذي يحظى بعلاقات وساحات التقاء عريضة مع صنوف الشعب التركي المختلفة بما اقتضته ظروف حياته الصعبة، وأما الجانب الآخر فهو أردوغان البرجماتي الذي يمارس العمل السياسي منذ أعوام طويلة داخل حركة (**الفكر الوطني**) (*)... فبالجانب الإنساني يلتقي "أردوغان" بالناس، ويقيم معهم علاقات الود والمحبة، ويصل إلى رجل الشارع بسهولة ويسر، وأما الجانب السياسي فيجعله قادرًا على تحقيق النفع والفائدة للمجموعات الشعبية التي يمثلها. ويمكن القول إن نجاح "**أردوغان**" إنما يعتمد على قدرته على الحفاظ على ذلك الانسجام والتوازن الدقيق بين كلا الجانبين.

* * *

منذ انتقال تركيا من نظام الحياة السياسية ذات الحزب الواحد الحاكم إلى حياة التعددية الحزبية أضحت السمة المشتركة للزعماء السياسيين هي التقرب إلى الشعب من خلال إظهار التقارب مع بعض رموزه وقضاياه، واستخدام لغة ليست بلغتهم، وإنما استعاروا مفرداتها وأساليبها البيانية من البيئات والأوساط الشعبية. وفي هذا الموضوع يَبرز "**أردوغان**" متميزًا ومختلفًا بسماته الشخصية والزعامية عن السياسيين الآخرين.

إن سلوكيات وتصرفات "**أردوغان**" تجاه متطلبات الشعب واحتياجاته تنطلق لديه من مبدأ الصدق والإخلاص، وهي الصفات التي جعلته زعيمًا كاريزميًّا حقيقيًّا، وحققت له التوافق والانسجام مع شعبه. في حين أن أنماط الزعامة الأخرى التي أُلِفت

(*) **حركة الفكر الوطني:** تُعد هذه الحركة المشروع الفكري والحضاري للإسلام السياسي في تركيا، وتُنسب هذه الحركة إلى مؤسسها "**نجم الدين أربكان**" حيث وضع أفكاره ومشروعه في كتابه "**الفكر الوطني**" عام 1969م. وانبثقت عن هذه الحركة مؤسسات عديدة في مختلف جوانب الحياة السياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية وتتخذ من مدينة (**كولن**) بألمانيا مركزًا لها. لمزيد من المعلومات عن هذه الحركة ومضامينها الفكرية راجع كتاب: "**الحركات الإسلامية في تركيا المعاصرة: دراسة في الفكر والممارسة**"، تأليف: طارق عبد الجليل.

تركيا رؤيتها في الحياة السياسية كانت على جهل بأن الشرعية تُستمد من رضاء الشعب عن قياداته. فجل ما يهتم به أولئك الزعماء السياسيون هو كيفية الوصول إلى السلطة، فشعورهم بالحاجة إلى الوصول إلى الشعب أمر يفترضه الظرف الانتخابي فحسب، أما الصدق والإخلاص وتحسُّس نبض الشعب وتبنى قضاياه لم تكن قط من أصيل من اهتماماتهم الأصيلة الراسخة.

فعلى سبيل المثال كان حزب (**العدالة**) (*) قد تأسس بعد انتهاء الأحكام العرفية التي فرضها انقلاب 1960م(**)، وذلك بوصفه امتدادًا (**للحزب الديمقراطي**) (***). وكانت جماعة (**النور الإسلامية**) (****) قد دعمت الحزب في انتخابات 1965م، وبعد فوزه قامت مجموعة من قيادات هذه الجماعة بزيارة "**سليمان ديمرال**" رئيس الحزب لتهنئته، ثم قال أحدهم له: "**سيدي.. مادمت تدرك الدعم الذي قدمناه لكم، وتشكرنا عليه، فهل يمكنني أن أسأل سؤالاً.. لماذا لا يوجد بين أعضاء حكومتكم واحد من إخواننا ؟**"

(*) **حزب العدالة:** يُعد حزب العدالة امتدادًا فكريًّا وسياسيًّا للحزب الديمقراطي الذي حكم تركيا خلال عقد الخمسينيات. وقد تأسس في منتصف الستينيات وتولَّى رئاسته عام 1965م سليمان ديميرال وأصبح يمثل التيار الليبرالي في الوسط السياسي.

(**) **انقلاب** 1960: هو انقلاب عسكري قام به صغار الضباط لأسباب سياسية واقتصادية واجتماعية، كان في مقدمتها اعتراضهم على أداء حكومة الحزب الديمقراطي خلال عقد الخمسينيات واعتبارهم إياها تتجه بالبلاد بعيدًا عن السياسات الأتاتوركية فيما يخص السياسة الخارجية وتطبيقات العلمانية.

(***) **الحزب الديمقراطي:** هو حزب ليبرالي نشأ بعد انتقال تركيا إلى مرحلة التعددية الحزبية في أعقاب الحرب العالمية الثانية. واستطاع البقاء في السلطة لمدة عشر سنوات منذ انتخابات 1950م حتى الانقلاب العسكري عام 1960م وحصد تأييد جموع الإسلاميين والمحافظين بسبب احترامه لشعائر الإسلام ووفائه بمتطلبات التيارات الإسلامية. وأُغلق الحزب بعد الانقلاب وتم اعتقال كافة نوابه في البرلمان وقيادات شُعبه، وإعدام رئيس الحزب عدنان مندريس الذي شغل منصب رئيس الوزراء لمدة عشر سنوات وكذلك إعدام وزير الخارجية ووزير المالية في حكومته.

(****) **جماعة النور:** تُنسب جماعة النور في تركيا إلى مؤسسها الشيخ بديع الزمان سعيد النورسي. وقد قام الشيخ النورسي بالحفاظ على الهوية والعقائد الإسلامية في تركيا، وتربية الشباب تربية إسلامية من خلال مؤلفاته المعروفة برسائل النور. وبعد وفاة الشيخ النورسي عام 1960م حافظ طلابه على نهجه ودعوته وانتظموا في مجموعات عدة تهدف إلى نشر مفاهيم الإيمان الصحيح والحفاظ على الهوية الإسلامية في تركيا. وتنتشر مجموعات جماعة النور بمؤسساتها المختلفة في شتى أنحاء تركيا وخارجها.

فأجابهم "**ديمرال**" جوابًا أصابهم بالدهشة والحيرة: "**أخي العزيز .. تقول إنه لا يوجد أحد منكم داخل الحكومة، إذًا فمن أكون أنا ؟ "**

وطوال تاريخ الجمهورية التركية لم تستطع علاقة السياسة بالواقع حسب التعريف الذي حددته إيديولوجية الدولة أن تصعد فوق المستوى الذي أشرنا إليه بهذه القصة.

فلم تستطع الأحزاب اليمينية أن تحصل على ثقة الشعب رغم الوجه المحافظ الذي بدت فيه، كما أنها أخفقت في تحقيق الانسجام بين الشعب والدولة، ألستم معي في أن السبب يكمن في الابتعاد عن الإخلاص وانتهاج سياسة نفاق ذات وجهين ؟

عقد السبعينيات

في عقد السبعينيات اتجه الشباب من الإسلاميين بشكل مكثف نحو القراءة والكتابة، ينهلون من الكتب والعلوم قديمها وحديثها، ويترجمون ويألفون الكتب والدراسات.

ظهرت حركة (**الفكر الوطني**) على الساحة السياسية مع ظهور (**حزب النظام الوطني**)(*) ، ثم تابعت الحركة مسيرتها مع تأسيس (**حزب السلامة الوطني**).

وكانت الغالبية العظمى من شباب الإسلاميين، سواءً كانوا على علاقة بالحزب أو لا تربطهم به علاقة قريبين في أفكارها من التفسير الراديكالي للإسلام، حيث لم يروا في حركة (**الفكر الوطني**) بزعامة "**نجم الدين أربكان**" الحركة التي تمثل الإسلام بالقدر الكافي.

وكان الاعتراض الأساسي الذي تستند إليه هذه الرؤية يتعلق بالشكوك والمخاوف من امتزاج الحركة الإسلامية بأي حزب سياسي، فضلاً عن الاعتراض على مفهوم الزعامة المطلقة التي يمثلها "**أربكان**". ولهذا، كانت حركة (**الفكر الوطني**) محل انتقاد دائم من شباب الحركة الإسلامية، فقد كانت بالنسبة للبعض منهم حركة تتجاهل الصدام الموجود بين النظام السياسي القائم وبين التصور الإسلامي للكون، كما أنها كانت بالنسبة للبعض الآخر حركة تستهدف الاستيلاء على الحكم دون أن تكون في نيتها تشكيل حكومة إسلامية، كما أنها أيضًا حركة ابتعدت عن المرجعية الإسلامية بتوافقها مع مفهوم الديمقراطية الذي يخول السلطة للأمة دون قيد أو شرط.

كانت الطبيعة القروية التي وصفت بها سياسة (**الفكر الوطني**) تنبع من قاعدة سوسيواقتصادية ترتكن إليها. فحزب (**السلامة الوطني**) كان حزبًا لـ (**هوية**) تتشكل

(*) **حزب النظام الوطني:** هو أول الأحزاب السياسية التي أسستها حركة الفكر الوطني بزعامة نجم الدين أربكان في 26 يناير 1970م. ويُعد هذا الحزب أول تكوين سياسي جاد يشكله الإسلاميون في تركيا، وقد تم إغلاقه في 20 مايو 1971م عقب الانقلاب العسكري الذي وقع في 12 مارس 1971.

من اتفاق عدد من الجماعات الإسلامية، ويستمد هذا الحزب قوته من قاعدة تتألف من العمال والقرويين والتجار وأصحاب رؤوس الأموال الصغيرة. حيث كانت رؤوس أموال المجموعات المحافظة في الأناضول قد أخذت طريقها نحو الاتحاد والتعاون والتكامل، غير أنها لم تكن قد وصلت إلى درجة من النضج تجعلها قادرة على المطالبة باحتياجاتها الاقتصادية والسياسية.

ومن ناحية أخرى كانت قيادة حركة (**الفكر الوطني**) تتوزع بين عناصر تمثل البرجوازية الصغيرة، وقاطني المدن، والعاملين في قطاع الدولة والحكومة. بمعنى أنها تحمل بداخلها تناقضًا بين عناصرها وبين من تنادي بمطالبهم. فقد كانت الكتلة الناخبة للحزب عبارة عن كتلة من الفقراء الذين جمعتهم القيم الدينية وذكريات الماضي المجيد. وكان هذان التناقضان: الاجتماعي والاقتصادي يلتقيان معًا تحت سقف واحد.

وبعيدًا عن هذه الانتقادات كلها، فإن تبوأ حزب إسلامي مكانًا في الحياة السياسية بزعم أنه يمثل القطاع المتدين في الدولة، مسألة قد وفرت ساحات جديدة لأولئك الشباب من الإسلاميين للتفكير في مفاهيم مثل: الدولة، الحكومة، السلطة، السياسة.

وفي ظل هذا المناخ شرع الإسلاميون في تركيا يتابعون عن كثب حركات التحرر الإسلامية في العالم. وأخذوا يتعمقون في دراسة موضوعات مثل: طرق وصول الإسلام إلى السلطة، ومناهج الدعوة الإسلامية، والعهد المكي، ودولة المدينة، والتوحيد والشرك. كما ظهرت الدعوة إلى قراءة القرآن الكريم برؤية جديدة.

كما أن حركة الإخوان المسلمين التي تأسست في مصر على يد "**حسن البنا**"، والجماعة الإسلامية التي تأسست في باكستان على يد "**أبي الأعلى المودودي**" قد بدأتا تؤثران داخل تركيا، وفي تلك الفترة أيضًا أصبحت أكثر الكتب قراءة لدى الإسلاميين في تركيا كتب "**سيد قطب**" مثل: كتاب (**معالم في الطريق**)، و(**العدالة الاجتماعية في الإسلام**)، وكتاب (**المصطلحات الأربعة في القرآن**) للمودودي، و(**الطريق إلى مكة**) لمحمد أسد.

كما أن أرفف المكتبات قد أخذت تمتلئ بالكتب المترجمة من العالم الإسلامي والكتب الإسلامية التركية جنبًا إلى جنب.

لم تكن صحوة حركة التأليف والترجمة الإسلامية مقصورة على اسطنبول فحسب بل امتدت إلى العديد من محافظات الأناضول. فكانت المكتبات ودور النشر في هذه المدن تزداد واحدة تلو الأخرى، حيث كانت تغري شباب الإسلاميين بقضاء أوقاتهم بداخلها، وتهيئ لهم المشاركة في مناقشة الموضوعات المختلفة خاصة القضايا السياسية، فضلاً عن الرواج الكبير للدوريات خاصة المجلات داخل محافظات الأناضول...

إن صدور المجلات بأعداد كبيرة في الأناضول يعد واحدة من أبرز سمات تلك الفترة من الناحية الثقافية، فقد كانت تطبع في الأناضول في تلك الفترة مجلات تتفاوت في أحجامها وبأعداد كبيرة جدًّا، فضلاً عن المجلات الإسلامية الكبرى التي يطبع منها عشرات الآلاف من النسخ في كل إصدار، ومنها مجلة (**الشرق العظيم**)، و(**الإحياء**)، و(**الفكر**)، و(**الشباب الوطني**)، و(**ما وراء**)، و(**الأدب**)، و(**الجيل الجديد**)(*).

وفي تلك الأعوام كان التيار اليساري في تركيا يحظى بنفوذ كبير بين الطلاب والشباب. فقد استطاع الفكر اليساري الانتظام بسرعة مستفيدًا من المناخ السياسي الذي وفره له انقلاب 1960م، فاقتحم عالم النشر والصحافة وحقق نجاحات كبيرة واضحة. وفي تلك الفترة أيضًا تأجج الصراع والصدام بين اليساريين والقوميين؛ فأضحت ساحات الجامعات والميادين والشوارع الكبرى والمنتديات الاجتماعية والسياسية مسرحًا تدور فوقه حلقات هذا الصراع.

ووسط هذه الصراعات نجح شباب الإسلاميين في البقاء بعيدًا عن صراعات اليمين واليسار والقوميين، وفي نفس الوقت استطاعوا النفوذ والتأثير في الساحة الثقافية وقطعوا خطوات ملموسة في هذا الاتجاه، واستطاع هؤلاء الشباب تشكيل وعي سياسي جديد بعيد عن الحركة السياسية التي نجحت في استدراج حركة الفكر الوطني إلى مركزه، فشكلوا لغة خاصة بهم، وامتلكوا رأيًا عامًّا ذا تأثيرٍ في الجناح الخاص بهم.

(*) تمثل هذه المجلات تيارات فكرية إسلامية تتباين قليلاً عن بعضها البعض من حيث الوعاء الثقافي والإيديولوجي الذي تمثله. ولعل أهم ما تتميز به هذه المجلات أنها اتخذت من الأدب وأنماطه المختلفة أدوات دعوية تحمل مضامين فكرية عميقة، وتؤسس لخطاب إسلامي متميز، يمكن القول أنه كان القاعدة الفكرية والأيديولوجية التي انطلقت منها حركات الإسلام السياسي والاجتماعي في تركيا.

في تلك الفترة كان "**أردوغان**" يواصل عمله السياسي تحت مظلة حزب (**السلامة الوطني**)، وكان في الوقت نفسه من بين أولئك الشباب الذين استطاعوا تطوير أفكارهم وآرائهم من خلال هذا المناخ الذي تحدثنا عنه.

كان للاتحاد الوطني للطلبة الأتراك في مدارس الأئمة والخطباء مكانة كبيرة في حياة "**أردوغان**" الذي اعتاد التردد عليه منذ أن كان طالبًا في المدرسة الثانوية؛ حيث وفر "**لأردوغان**" الوسط الاجتماعي الذي اكسبه أولى تجاربه وخبراته السياسية والثقافية. كما أن تعرفه بالأستاذ "**نجيب فاضل قيصه كورك**" وقراءته لأشعاره ومقالاته كان متزامنًا مع تلك الأعوام التي تردد فيها على ذلك الاتحاد.

وفي عام 1975م كان الاتحاد الوطني للطلاب الأتراك سينظم احتفالية للأستاذ "**نجيب فاضل**" بمناسبة العام الأربعين على نضاله الثقافي والفكري. وكان الأستاذ سيختار بنفسه واحدًا من طلاب الجامعة يقوم بالتقديم خلال الاحتفالية، ويقرأ كذلك شعرًا له بعنوان (**رسالة من السجن إلى محمد**).

أعد أول الطلاب المرشحين قصيدة مدحية في أربع صفحات كاملة، وما أن وصل إلى الصفحة الثالثة حتى نفذ صبر الأستاذ وصرخ: كفى.

أما المرشح الثاني فكان "**أردوغان**" وقد حمل في يده قصاصات ورقية صغيرة، وبدأ يتلو مقدمة قصيدة بدأها بقوله: "**إلى مرشد الروح الذي جعلنا نسود القارات الأربع والأقاليم السبعة...**" ثم أخذ يلقي قصيدة (**رسالة من السجن إلى محمد**)؛ فتأثر به الأستاذ كل تأثر وقال: "**هذا الشاب جدير بأن يقدمني في الاحتفالية إنه يلقي قصيدتي على أفضل ما يكون**".

بدأت حياة "**أردوغان**" الثقافية مع الاتحاد الوطني للطلاب الأتراك في الدورة التاسعة والأربعين التي اختير فيها "**برهان الدين قيهان**" رئيسًا للاتحاد عام 1969م. واستمرت علاقة "**أردوغان**" بالاتحاد حتى عام 1976م عندما اختير رئيسًا لجناح الشباب في حزب (**السلامة الوطني**) بحي (**باى اوغلو**).

كانت الفترات التي تولى فيها (**عابد أوزمان**) و(**رشدي أجاويد**) في الاتحاد الوطني للطلبة الأتراك مهام مدير الإنشاءات ثم مدير الثقافة من أخصب الفترات التي تم

التركيز فيها على تربية الشباب وتنشئته على مفاهيم إسلامية فاعلة داخل الوطن تنشد أسلمة المعرفة ومجالات الحياة عامة، فقد توفرت للشباب والطلاب الإمكانات والفرص لتطوير أنفسهم داخل الوحدات المتخصصة التي أنشأت مثل وحدات: الثقافة، والتعليم، والسياحة، والفن الشعبي، والرياضة، والكتاب، والسينما، والمسرح، والتصوير. كما نظم الاتحاد جلسات النقاش المفتوحة والمؤتمرات، واللقاءات التذكارية، وأنشطة فكرية أخرى. وهذه الأنشطة جميعها نجحت في تجنيب الشباب التورط في صدامات ومعارك الشارع مع التيارات اليمينية واليسارية والقومية.

إن البنية الفكرية لأردوغان التي تشكلت في مناخ الثقافة السائد خلال عقد السبعينيات لم تتفق بشكل تام في أي وقت من الأوقات مع ثقافة (**البيعة**)، و(**الطاعة العمياء**) التي نصت عليها سياسة (**الفكر الوطني**) التقليدية. وكان على هذا التمايز الذهني والفكري الانتظار حتى ينعقد المؤتمر العام لحزب (**السلامة الوطني**) عام 1978م ليرى النور.

انتصار رغمًا عن قيادة حزب الرفاه

– **عام 1976م**

الزمان: يوم السبت عام 1976م، المكان: الطابق الثاني في أحد المباني المتواضعة في حي (**الفاتح**)(*) باسطنبول، إنه مبنى شعبة حزب (**السلامة الوطني**) في اسطنبول. وكان مقررًا أنه سوف يعقد المؤتمر العام لجناح الشباب في حزب (**السلامة الوطني**) بمحافظة اسطنبول في اليوم التالي. سيغادر الرئيس الحالي منصبه، وسيتم انتخاب رئيس جديد. وحسب تقاليد حركة (**الفكر الوطني**) فإن هناك قائمة واحدة في هذا المؤتمر ومرشح واحد لرئاسة الشعبة، ورغم الاجتماعات التي عقدها الحزب طيلة الأشهر الماضية، ورغم كل التكهنات التي تدور في الكواليس فلم يتحدد بعد اسم المرشح الجديد.

يتنافس على منصب رئاسة جناح الشباب في محافظة اسطنبول ثلاثة مرشحين جميعهم في سن الشباب، يتسمون بالجد والطموح، ويتولى كل منهم رئاسة جناح الشباب في حي من أحياء اسطنبول.

يبذل "**مصطفى أوزتورك**" رئيس جناح الشباب بمحافظة اسطنبول قصارى جهده لإقناع كلا المرشحين الآخرين بالانسحاب لصالح "**خلوصي ذو الفقار**" الذي يدعمه الحزب من اسطنبول، غير أن جهوده كلها تبوء بالفشل.

وتتم دعوة مجلس إدارة جناح الشباب بالمحافظة ومعهم رؤساء أجنحة الشباب بالأحياء إلى الانعقاد، ويقررون جميعًا إجراء التصويت.

ويفوز "**خلوصي ذو الفقار**" بأكثر الأصوات في ذلك التصويت، ويقوم الجميع بتهنئة خلوصي؛ فقد تم اختياره رئيسًا. ومن ثم فلن تكون الانتخابات سوى إجراءً شكليًّا. بيد أن أحداث اليوم التالي أثبتت عكس ذلك، فيظهر "**أردوغان**" على الساحة ليفسد نتائج ذلك الاجتماع.

(*) **حي الفاتح:** يُعرف حي الفاتح بأنه أكثر أحياء اسطنبول تدينًا ومحافظةً على الهوية الإسلامية، وتتركز فيه مجموعات دينية وطرق صوفية عديدة، ومن ثم تقطنه الشرائح الإسلامية والمحافظة.

ففي الليلة ذاتها يقوم "**صالح غولر**" رئيس شعبة الحزب في حي (**باى اوغلو**) بإجراء عدد من الاتصالات المكثفة بقيادات الحزب، ويبذل جهودًا مضنية من أجل الانتخابات التي ستجرى في اليوم التالي.

وفي اليوم التالي ينعقد المؤتمر، ويتولى "**قدير مصر اوغلو**" رئاسة المؤتمر، ويطلب "**مصطفى اوزتورك**" الكلمة من أجل دعم "**خلوصي ذو الفقار**"، فيعترض عليه الناخبون ويصفون مطالبه بأنها غير عادلة ولا تحقق تكافؤ الفرص. ويطلب الناخبون إجراء التصويت، ويُقبل اقتراحهم، وبهذا لم يعد لقيادة الحزب في محافظة اسطنبول تأثيرًا قويًّا على قرار المؤتمر.

يتقدم "**علي عثمان أمره خان**" إلى المنصة، ويلقي الكلمة الأولى في المؤتمر بصفته أحد المرشحين الثلاثة، ويعلن أنه قد انسحب من الانتخابات لصالح "**أردوغان**" ويصعد بعدها "**أردوغان**" إلى المنصة، ويلقي كلمته على الحاضرين. ويكون لخطبته تأثيرًا عميقًا في خيارات الناخبين لما تضمنته تلك الخطبة من مضامين وأفكار فضلاً عن بلاغة الخطاب وحسن البيان فيها.

ويصبح "**أردوغان**" رئيس جناح الشباب في حزب (**السلامة الوطني**) عن محافظة اسطنبول وهو لا يزال في الثانية والعشرين من عمره.

ورغم حداثة سنه وحمل الأعباء الثقيلة الملقاة على عاتقه، إلا أنه أثبت قدرته على تحمل هذه المسئوليات الكبيرة، فمضى في الوفاء بواجباتها في ظل احترام وثقة منحته إياها قيادات الحزب وأعضائه.

ورغم الأحداث والظروف الصعبة التي كانت تمر بها تركيا آنذاك، فقد استطاع "**أردوغان**" التأثير في شباب الإسلاميين وإبعادهم عن نزاعات وصدامات الشارع السياسي التركي، وذلك بفضل عدم انخراط "**أردوغان**" في أجواء الإثارة والتحريض الإيديولوجي، وتجنب مفاهيم وسلوكيات تمزج الأفكار والإيديولوجيات السياسية بالدين.

واستطاع "**أردوغان**" أن يؤثر بشخصيته القيادية على الشباب الموجودين حوله في تلك الأيام العصيبة التي يمر بها المجتمع التركي، وعرف كيف يوجه طاقات أولئك الشباب نحو ما يمكنه أن يحقق لهم النفع ولمجتمعهم.

كان "**أردوغان**" مشاركا في كل الأنشطة الطلابية في مدرسته، أو في الاتحاد الوطني للطلاب الأتراك، أو في جناح الشباب بالحزب، وكان عضوًا أساسيًّا في كافة الأنشطة وفي مباريات كرة القدم، والمؤتمرات، والندوات، والمناظرات. كان دائمًا في حالة حركة لا تعرف التوقف وحيوية لا ينتابها الكسل.

وكان أصدقاؤ، عندما يبدأون الحديث عنه يقولون دائمًا: "وأنا ذاهب مع أردوغان إلى كذا ..."، أو "**في مرة من المرات وأنا عائد مع أردوغان من كذا ...**" ويتحدثون عن تأخر "**أردوغان**" حتى ساعات متأخرة من الليل خارج بيته.

وتحكي والدة "**أردوغان**" عن سنوات الاضطراب السياسي في تركيا في نهايات عقد السبعينيات فتقول: "**كانت أصوات الرصاص تصم آذاننا من جميع الجهات، وكنت أجلس انتظر عودته إلى البيت حتى الصباح دون أن يغمض لي جفن**". وكانت كذلك زوجته السيدة "**أمينة أردوغان**" تدرك في الأصل أنها لم تتزوج موظفًا يعود إلى بيته في موعد محدد كل يوم؛ بل تزوجت من رجل سياسي يضحي بكل شيء في سبيل الوصول إلى هدفه.

وبعيدًا عن أوقات التدريب والتريض ومباريات كرة القدم كان أردوغان إما في أحد الاجتماعات الخاصة بالحزب أو في لقاءٍ داخل أحد البيوت أو في جولة قصيرة خارج اسطنبول لمدة يوم واحد.

وما من شك في أن "**أردوغان**" كان واحدًا من أكثر الشخصيات السياسية تنقلاً بين محافظات تركيا المختلفة من أدناها إلى أقصاها. وهي طبيعة عُرف بها أردوغان منذ توليه منصب رئيس جناح الشباب بالحزب، واستمر في هذه التحركات الدؤوبة أيضًا بعد أن تولى رئاسة بلدية اسطنبول إلى يومنا هذا.

فقد كان يقول: "طول المسافات ليس مهمًّا المهم أن تتحد القلوب..." فكان يذهب إلى حيث دُعي، إلى أي مدينة أو قصبة أو قرية من القرى في مختلف أرجاء تركيا.

وقد أتاحت له هذه الزيارات والجولات قدرات كبيرة في فهم أحوال أهل الأناضول. ولا شك أنه قد عانى الكثير خلال هذه الزيارات والجولات الكثيرة، ووجد فيها كذلك يسرًا وعسرًا، وصفاءً وجفاءً.

ويقول "تحسين ديندار" عن هذا:

" كانت هناك مسابقة بين جناحي الشباب بحزب السلامة الوطني في محافظتي اسطنبول وأنقره، وتم إجراء المسابقة في القاعة الرياضية المغطاة بمحافظة (**بولو**) بحضور عدد كبير من قادة الحزب في المحافظتين. وكان "**أردوغان**" هو المتحدث باسم فريق اسطنبول، ولهذا استطعنا الفوز بكل النقاط في هذه المسابقة وفزنا بالمركز الأول.

وفي منتصف الليل خرجنا من (**بولو**) ومعنا سيارة الحزب وهي سيارة زرقاء من نوع فورد، وكان "**أردوغان**" يقود السيارة بنفسه، ولم يجرؤ أحد على محاولة الجلوس إلى جواره خشية من مغامرات أردوغان على الطريق، فركبت أنا. وكان يقدمني إلى الناس في كل مكان بقوله: "**السيد تحسين سكرتيري**".

وعندما غامرت وجلست إلى جواره تملكني الخوف طوال الطريق؛ فنصف متر فقط كانت هي المسافة بين سيارتنا والشاحنة التي تسير أمامنا، إلى هذه الدرجة كنا نقترب منها، فقلت: "**يا ريس هدئ السرعة قليلاً كي نبتعد عنها**". فقال: "ماذا، أتخاف ؟!. ولم استطع أن أقول له: "نعم أخاف". وفي منتصف الطريق عندما وصلنا إلى محافظة (**أضا بازاري**) نظرت إليه فوجدت عينيه متعبتين فقلت له: "**يا ريس فلنتوقف ولننم قليلاً، فأنت متعب**". فأجابني: "**كلا، لن أنام**".

أردوغان
لا ينسى الفحم

يحكي "هارون قارجه":

"كان أردوغان مرشحًا للبرلمان في منطقة (**باي أوغلو**) و(**زيتين بورنو**) في الانتخابات العامة عام 1987م. وحدث أن تلقى دعوة لحضور أحد المؤتمرات في منطقة بعيدة عن اسطنبول، وكان ذلك في أكثر أيام الحملة الانتخابية ازدحامًا. وأمام إصرار صاحب الدعوة قَبل **"أردوغان"** الدعوة رغم ضيق وقته.

وفي هذا المساء كان **"أردوغان"** سيشارك في أحد اللقاءات المنزلية، ثم نسافر ليلاً إلى خارج اسطنبول لتلبية الدعوة التي سيلقي فيها كلمة أخرى مساء اليوم التالي.، ثم نعود إلى اسطنبول في نفس الليلة.

انتهى اللقاء قرب منتصف الليل وذهبنا لإحضار أردوغان، لنبدأ رحلتنا.

فقال أردوغان:

- **"كدت أن أنسى، عليّ أن أمرَّ على البيت الآن".**

فقلنا له:

- **"خيرًا ؟"**

فقال:

- **"عليّ أن أشتري فحمًا واذهب به إلى البيت".**

كنا في شهر نوفمبر / تشرين الثاني وكانت الليالي شديدة البرودة. فذهبنا إلى منزله وانتظرناه في السيارة حتى عاد، وفي هذه الأثناء كان الجوع يعتصرنا فقلنا: **"نذهب إلى مسمط من المسامط، فنأكل شيئًا ثم نبدأ رحلتنا"**. فذهبنا إلى مسمط (**شاكر كامبور**) في حي (**قاسم باشا**).

وأخذنا معنا في حقيبة السيارة الأجهزة والمعدات الصوتية. وكنا خمسة أشخاص في السيارة: أردوغان وأنا وصهري، وعثمان كاغان، وعثمان عشقينباق.

كان **"عثمان عشقينباق"** يذهب إلى أنقره معنا من أجل أمر يتعلق بعمله الخاص؛ بالإضافة إلى أنه لم تكن معه أموالٌ في تلك الأيام، ولذا ركب معنا حتى نوفر له تكاليف السفر، وكنا سنتركه في أنقره ثم نواصل رحلتنا.

بالطبع إذا استطعنا مواصلة الرحلة !

وعندما وصلنا إلى (**غرده**) حان موعد صلاة الفجر، فاسترحنا قليلاً وصلينا الصبح ثم واصلنا رحلتنا. كنا نركب سيارة "**عثمان كاغان**"، وهي سيارة من نوع (**أودى**)، وكان يقودها بنفسه.

وفجأة ضغط "**عثمان كاغان**" بقوة على بدال الوقود حتى يتمكن من تجاوز الشاحنة التي تسير أمامنا من جهة اليسار، غير أنه تراجع عندما فوجئ بحافلة ركاب تابعة لشركة (**أورفه جسور**) تأتي في الاتجاه المقابل. فأراد أن يقلل من سرعة السيارة حتى يتمكن من البقاء خلف الشاحنة مرة أخرى، فضغط على المكابح. فإذا بالسيارة هذه المرة تتزلج على الطريق بسبب الجليد المتراكم عليه؛ وكدنا أن ندخل بسيارتنا تحت الشاحنة !

كان "**أردوغان**" يجلس في المقدمة، وكنت أنا وصهري وعثمان عشقينباق نجلس في المقعد الخلفي للسيارة.

فما كان من "**أردوغان**" إلا أن صاح ناطقًا بالشهادة وقال: "**السيارة تنزلق يا أخ عثمان**". وحتى لا تدخل السيارة تحت الشاحنة، أدار الأخ "**عثمان**" عجلة القيادة نحو اليسار، فإذا بسيارتنا تدخل تحت الحافلة القادمة من الطريق المقابل ..!! كل شيء حدث في ثوان معدودات.

نزلت سيارتنا تحت الحافلة حتى زجاجها الأمامي. وملأت الدماء وجه كل من "**أردوغان**" والأخ "**عثمان**"، وأصيبا بحالة من فقدان الوعي. أما أنا فكسر ذراعي وعدد من الضلوع في قفصي الصدري، ولم أقو على التنفس. أما صهري فقد خرج من النافذة ولم تنزف أنفه قطرة دم، وكذلك خرج أيضًا "**عثمان عشقينباك**" سليمًا معافى.

قام سائق الحافلة – جزاه الله خيرًا – بوضعنا في سيارتين، ذهبا بنا إلى مدينة (**غرده**). ولما كانت المستشفى الموجودة هناك غير مؤهلة لاستقبالنا، قامت بإرسالنا إلى محافظة (**بولو**) في سيارة إسعاف.

وعندما وصلنا إلى المستشفى قام المسئول هناك بسؤالنا عن نوعية التأمين الصحي الذي نحمله، ثم قال لنا إن بطاقة التأمين الصحي التي نحملها لا تتبع هذه المستشفى، وأرشدنا إلى مستشفى أخرى ذهبنا إليه. وبقينا في تلك المستشفى أربعة أيام ثم خرجنا منها بعد أن تماثلنا للشفاء. أما "**أردوغان**" فقد استغرق شفاؤه فترة طويلة لأنه قد

تعرض لكسور في ضلوع قفصه الصدري. واستأنف حملته الانتخابية مستعينًا بالحقن المسكنة حتى يسيطر على الآلام".

ويضيف "تحسين" إلى هذا الموضوع فيقول:

"كنا نتعرض لهذه المشكلات والمصائب بسبب كثرة انتقالاتنا وجولاتنا بين المدن في تركيا. فقد كانت لدينا دائمًا مشكلة في الوقت. فإذا كنت تعمل مع الريس **"أردوغان"** فإن عليك دائمًا أن تواكب خطواته وحركاته السريعة، وأن تبقى دائمًا في حالة حركة مستمرة. فينبغي عليك أن تكون على أهبة الاستعداد لمواجهة الحوادث والمصائب وإجهاد السفر ومشقته.

"وفي طريقنا لحضور مؤتمر في محافظة (**أدرنه**)، وكنا في شهر رمضان إن لم تخونني ذاكرتي، خرجنا على الطريق متوجهين نحو (**أدرنه**) في شكل قافلة كبيرة تمثل حزب السلامة الوطني في اسطنبول مكونة من نحو أربعين حافلة، وخمس وعشرين سيارة خاصة. وما أن عبرنا حي (**سليفرى**) في اسطنبول حتى قطعت علينا الطريق لجنة مرور، ووجهت قافلتنا للتوقف جهة اليمين.

فقلنا لضابط المرور:

- **"خيرًا ؟ لماذا أوقفت سياراتنا ؟ ".**
- **"لقد تجاوزتم حدود السرعة"**
- **"عن أي سرعة تتحدث ؟! فحالة سياراتنا أفضل بقليل من عربة الحنطور".**

فقال:

- **"الرادار لا يكذب".**

وطلب منا التوقف، وظل يردد ما يقول كأنه لا يسمعنا.

وعندما طال النقاش تدخل **"أردوغان"**، ونظر إلى الرجل وقال له: **"هل شربت الخمر أثناء عملك؟ إن فمك يفوح برائحة الخمر كرائحة الجثة العفنة، إنك مخمور ترتكب الآثام والأخطاء ثم تفتري على الناس الكذب!".**

ثم ركبنا سياراتنا وواصلنا رحلتنا.

يحكي الأخ **"حسن البصري"** عن أحداث الانقلاب العسكري في 12 سبتمبر / أيلول 1980م(*)، وأجواء الأحكام العرفية التي خلفها، فيقول: **"تعطلت الأنشطة الحزبية إلى حد كبير ، غير أن زمام الأمور لم يفلت من يد أردوغان"، وبستطر. فيقول:**

"استمرت أنشطة جناح الشباب في حزب السلامة باسطنبول بشكل غير رسمي. فقد أصبحوا يجتمعون في البيوت. وبعد فترة قصيرة من الانقلاب العسكري ذهب أردوغان لأداء الخدمة العسكرية. وقبل أن يذهب عقد في بيته اجتماعا أخيرًا. وكنت آنذاك طالبًا في المرحلة الثانوية وأتذكر بعض الأسماء التي حضرت الاجتماع: الأخ تحسين، واتيللا ايدنار، وعاكف تشاليقان، ومصطفى اطالاى، وهو من أكثر الأسماء شعبية في محافظة اسطنبول، وموري آفجي، ونجدت كولونك رغم أنهما لم يكونا من ممثلي الإدارة.

وتكلم أردوغان فقال: "العمل مستمر، ولن تتوقف اجتماعاتنا"، وأعلن أن نجدت كولونك سيتولى المقام نيابة عنه إلى أن ينهي خدمته العسكرية.

كان أردوغان حديث الزواج، ولم يكن ابنه أحمد براق قد تجاوز عامه الأول، لهذا كان يدعو الله ألاَّ يتم توزيعه بعد إنهاء مدرسة ضباط الاحتياط إلى منطقة بعيدة.

كانت مسألة التوزيع على الوحدات العسكرية تتم بالقرعة، غير أن القائد سأله عن المكان الذي يريد أن يقضي فيه خدمته العسكرية.

فأجابه أردوغان: "أفضل أن يكون المكان قريبًا من اسطنبول"

فسأله القائد:

- "ما هي أقرب وحدة عسكرية إلى بيتك"

(*) **الانقلاب العسكري في 12 سبتمبر / أيلول 1980م:** يُعد هذا الانقلاب هو آخر الانقلابات العسكرية التي استخدم فيها الجيش التركي الآلة العسكرية، فضلاً عن أنه أقوى الانقلابات العسكرية تأثيرًا في الساحة السياسية خلال عهد الجمهورية التركية؛ إذ تمكنت المؤسسة العسكرية بهذا الانقلاب من تعزيز وضعيتها القانونية ونفوذها داخل مؤسسات الدولة وتشديد رقابتها على مؤسسات المجتمع المدني، وصوغ دستور جديد يرسخ لشرعية التدخل العسكري في الحياة السياسية.

– وحدة "**داوود باشا**"

فقال له القائد:

– "**أنت لم تعرف جيدًا**": أقرب وحدة عسكرية إلى بيتك هي (**هاصدال**). مبروك عليك".

– وكانت وحدة (**هاصدال**) تبعد عن بيت "**أردوغان**" عشرين دقيقة بينما الوحدة الأخرى فتبعد خمسة وعشرين دقيقة.

– لقد استجاب الله لدعاء أردوغان.

خرج حزب (**السلامة الوطني**) من الانتخابات البرلمانية عام 1973م بنجاح تجاوز طموحات الحزب ذاته، وتكهنات الرأي العام أيضًا؛ حيث فاز بثمانية وأربعين مقعدًا داخل البرلمان، وبات حزبًا أساسيًّا في ترجيح وضبط كفة الحكومات الائتلافية.

ورغم أن هذا الوضع لم يكن يروق للنخب العلمانية، وفي مقدمتهم حزب الشعب الجمهوري، إلا أنه أسفر في النهاية عن تشكيل حكومة ائتلافية بين حزب الشعب الجمهوري وحزب السلامة الوطني.

أما في انتخابات 1977م التي جرت بعد حل "**بولنت أجاويد**" رئيس الوزراء آنذاك للحكومة الائتلافية القائمة، فلم يستطع حزب السلامة المحافظة على نجاحه السابق، وانخفضت نسبة الأصوات التي حصل عليها من 11.8٪ إلى 8.5٪، وفاز فقط أربعة وعشرين نائبًا من ثمانية وأربعين مرشحًا خاض بهم الانتخابات.

وبدأت مجموعة من داخل الحزب تطالب ببحث الأسباب التي أدت إلى هذه الهزيمة، وتحديد المسئولين عنها، ومحاسبتهم. وفضلاً عن ذلك أخذوا يوجهون رسائل إلى "**أربكان**" يطالبونه بإجراء تغييرات داخل إدارة الحزب، وصوغ مفهوم جديد في إدارته حتى لا يتكرر ذلك الوضع.

وبسبب مقابلة "**أربكان**" لهذه المطالب والانتقادات بالصمت، فقد قامت المجموعة التي تطمح إلى التجديد بإعداد قائمة انتخابية ثانية في مؤتمر الحزب الرابع الذي انعقد في 15 أكتوبر / تشرين الأول 1978م، وذلك بمبادرة من "**كوركوت أوزال**".

وكان "**أردوغان**" أحد الذين دعموا تلك القائمة في هذا المؤتمر، ولم يكن قد تجاوز الرابعة والعشرين من عمره بعد، وشارك في الانتخابات الداخلية للحزب بصفته رئيسًا لجناح الشباب في محافظة اسطنبول. ولعل "**أردوغان**" كان أيضًا الأصغر سنًّا داخل قاعة هذا المؤتمر، ولكنه كان الأكثر حيوية ونشاطًا. وقد اعترض بشدة عندما طلب المجلس العام للحزب منعه من اللقاء بممثلي الحزب داخل المؤتمر. ولم ينثني عن موقفه والمطالبة بحقه حتى سمحوا له.

وفي النهاية، ورغم أن الفشل قد لحق بالقائمة الثانية والمدافعين عنها، إلا أن **"أردوغان"** قد أثبت وجوده، وأصبح محل اهتمام ممثلي الحزب، بسبب وقوفه إلى جانب المطالبين بالتجديد، فضلاً عن مواقفه المعارضة، وخرج **"أردوغان"** من هذا المؤتمر وقد لمع اسمه، وبات موضع اهتمام الجميع.

* * *

ومما لا شك فيه أن الحزب كان واقعًا في أخطاء ومواقف غريبة لا يمكن إنكارها مثل عدم إسناد ممارسة الحزب للسياسة على أسس عقلانية، وعجز لغة الحزب وخطابه عن مخاطبة كافة الأطياف في تركيا، فضلاً عن تمسكه بتقاليد أخرى، منها عدم السماح بدخول مقاره وشعبه بالأحذية، ونتيجة لهذه الأخطاء والمواقف أخذت تنهال على الحزب الانتقادات والاعتراضات. وقد بدأت هذه المواقف تستدعي إلى الأذهان صورة **(جماعة إسلامية)** أكثر من كونه **(حزبًا سياسيًّا)**.

إن جذور التمايز بين الجناحين **(التجديدي)**، و**(التقليدي)** والتي طفت على السطح بقوة في مؤتمر حزب الفضيلة في الرابع عشر من مايو / آيار عام 2000م إنما ترجع إلى التيار المعارض الذي ظهر في مؤتمر 1978م.

وكان من الطبيعي أن يصبح **"أردوغان"** الذي كان واحدًا من الداعمين لهذا التيار في 1978م هو الزعيم **(للحركة التجديدية)** في المؤتمر الأول لحزب الفضيلة بعد مرور 22 عامًا.

ولم يستطع **"أردوغان"** المشاركة في المؤتمر الأول لحزب الفضيلة الذي انعقد في أنقره لكونه محظورًا من مزاولة العمل السياسي، وبقي في اسطنبول. ومن هناك كان يسعى لتحقيق الدعم المعنوي والتكتيكي لـ **"عبد الله غول"** المرشح لزعامة التجديديين داخل الحزب؛ فيتصل به كثيرًا، ويقدم له إجابات على الانتقادات الموجهة، ويطلب منه الصمود.

وفي نهاية المؤتمر فاز الجناح **(التقليدي)**، وتوالت رسائل التهنئة للفائزين. وعندما جاء الدور على رسالة **"أردوغان"** امتلأت القاعة بالبهجة والسرور وأخذوا يهتفون. **(أنت فخر لتركيا)**، ولم يتمالك معظم الحضور دموعهم حبًّا في **"أردوغان"** الذي منعه الحظر السياسي من الحضور ... وأصبح اسم **"أردوغان"** رمزًا وأملاً تلتف حوله قلوب الذين يتطلعون إلى المستقبل.

أردوغان ورئاسة بلدية (باي أوغلو) 1989 م

يقول **"أردوغان"** في معرض حديثه عن ترشيحاته السابقة لعضوية البرلمان: "لم أشعر بحرج قط من ظهوري أمام الناس مرشحًا لحزب الرفاه في المناطق التي لا تحمل أي ملمح من ملامح الفوز فيها، تلك المناطق التي يهرب منها المرشحون الآخرون. ثم يوضح السبب فيقول: **"إذًا فلماذا لم اعترض ؟ لأن أستاذي أربكان قال ذلك"**.

أما في انتخابات المحليات 1989م فقد رشح **"أردوغان"** نفسه بمبادرته الشخصية الكاملة كرئيسًا لبلدية **(باي أوغلو)** رغم اعتراضات المركز العام للحزب ومجلس الحزب في اسطنبول. وكان لإصراره هذا أسباب ودوافع مهمة، يرويها فيقول: "أنا الذي طلبت الترشح لرئاسة بلدية **(باي أوغلو)**، فقد كنت أرى هذه الانتخابات فرصة لابد من اغتنامها؛ لأنني كنت اعتقد أن الأصوات التي حصلنا عليها في حزب الرفاه حتى ذلك الحين كانت أقل بكثير مما ينبغي علينا الحصول عليه. فالناس يريدون أن يمنحونا أصواتهم، ولكن الجدار الخفي الموجود بيننا يظل دائمًا حائلاً يمنعنا من إقامة علاقات معهم. فلم نفلح بأي وسيلة من الوسائل منذ عقد السبعينيات في هدم ذلك الجدار. فلو أننا كنا قد وجدنا طريقًا أو سبيلاً لإقامة علاقات وطيدة مع الشعب، لكان ذلك الجدار قد انهدم، ولأصبحنا الحزب الأول في تركيا. فقد كنت استهدف بمشاركتي في هذه الانتخابات أن أتأكد من رؤيتي هذه، ومن ناحية أخرى أثبت إن ذلك الجدار الموجود بيننا وبين الشعب يمكننا هدمه".

أما إدارة الحزب فقد كانت تنظر إلى الموضوع من ناحية مختلفة. فقد كانت نسبة الأصوات التي حصل عليها الحزب في **(باي اوغلو)** في الانتخابات السابقة في حدود 3٪ ، كما أن قيام واحد من الذين يتولون مناصب مهمة في قيادة الحزب باسطنبول بالترشح في حي من الأحياء لا حظ ولا نصيب له في الفوز فيه، ستكون عاقبته وخيمة وقد تلقي بظلالها على هيبة الحزب ومكانته."

وأمام إصرار **"أردوغان"**، لم يجد المعارضون مفرًا من الموافقة على ترشحه لرئاسة بلدية **(باي اوغلو)**.

وكلما اقترب موعد انتخابات رئاسة بلدية (**باي أوغلو**) كان "**أردوغان**" يكثف من اجتماعاته التنظيمية الخاصة بالحملة الانتخابية. إذ إن "**أردوغان**" سيدشن خططًا وتطبيقات جديدة قد تعد ثورة بالنسبة لحزب الرفاه في هذه الانتخابات.

ففي هذه الانتخابات لأول مرة يوظف حزب الرفاه المرأة في الحملة الانتخابية. وهو تطور لم يكن بالأمر اليسير؛ فقد كان بمثابة الثورة بالنسبة لحزب الرفاه، ولهذا لم يسلم من الانتقادات الحادة القاسية من داخل الحزب نفسه، وظل هذا الأمر موضوع نقاشات لفترة طويلة.

كان توظيف المرأة في الحملات الانتخابية بشكل فعال أمرًا جديدًا للغاية، ناهيك عن أن انضمام النساء للعضوية في حزب الرفاه كان أيضًا أمرًا مستحدثًا.

ويقول "**أكرم أردم**" إن أول امرأة انضمت للحزب كانت في عام 1987م وكان عن طريق الصدفة المحضة:

"كان لنا صديق يدعى يالتشين أوزار، وكنا قد عقدنا لقاءً منزليًّا في بيت واحد من جيرانه، وعندما انتهى اللقاء اقترحنا على صاحب البيت الانضمام لعضوية الحزب، وأخذ الرجل يتعلل بأسباب واهية من هنا وهناك حتى يرفض اقتراحنا. وفي تلك اللحظة جاءنا صوت من المطبخ سجل اسمي عندك. كانت صاحبة الصوت هي ابنة صاحب المنزل. والحقيقة، إننا لم نستطع أن نقول لها: إننا لا نمنح عضوية الحزب للنساء؛ فأعطيناها استمارة الانضمام للحزب وملأتها لتصبح أول عضوة في الحزب، لكننا لم نستطع تسجيل عضويتها في دفتر شعبة الحزب لفترة طويلة، ولم نرسلها إلى مركز الحزب في اسطنبول، ثم قررنا في النهاية أن نرسلها إلى إدارة الحزب في المحافظة وأن يقرروا هم ما يريدونه. فتلقت إدارة الحزب الطلب بالقبول، وعليه أصبحت أول امرأة عضوة في حزبنا مقيدة في شعبة حي (**شيشلي**).

كان "**أردوغان**" يدرك أنه يخوض مغامرة كبيرة بترشحه لرئاسة بلدية في حيٍ يعتبر أضعف الأحياء من حيث تواجد حزب الرفاه به. فيجمع أصدقائه الذين اختارهم لإدارة عملية الانتخابات، ويشرح لهم الاستراتيجية والوسائل التي سينتهجها في حملته الدعائية. ويحذر أصدقائه في بداية حديثه قائلاً:

"إننا في هذه الحملة نتحرك وفق استراتيجية مختلفة كثيرًا عما كان في الانتخابات السابقة. وأقول لكم ونحن لا نزال في بداية عملنا، أنا لا أريد من أحدكم أن ينظر إلى هذه الإجراءات الجديدة التي لم تعتادونها، بغضب أو استياء".

وكان أكثر تجديد لفت الأنظار في انتخابات (**باى اوغلو**) هو نزول المرأة إلى الساحة السياسية للمرة الأولى في تاريخ حركة الفكر الوطني.

ويقول أردوغان: "إننا ونحن نحدد ساحات ومهام المرأة في هذه العملية الانتخابية نجد أنفسنا مضطرين إلى مراعاة أنماط حياة الناس الذين يعيشون في تلك المنطقة، وكذلك تصوراتهم عن الكون والحياة. عندما نذكر حي (**باي أوغلو**) فإننا لا نتحدث عن مجتمع متجانس البنية الفكرية، فأخواتنا المنتقبات اللاتي يقُمن بأدوار فاعلة إيجابية وناجحة في حي (**أوق ميدانى**) لا يمكنهم تحقيق النجاح بالدرجة ذاتها في شارع (**الاستقلال**) أو أحياء مثل (**جيهان كير**)، و(**طوبخانه**). ولهذا فقد وظفنا في تلك المناطق أخواتنا من غير المحجبات. ومن المنطلق نفسه فقد قررنا عدم مشاركة إخواننا من ذوي اللحى والسراويل في قوافل الحملة الانتخابية التي ستجرى في تلك المناطق. فإذا بي أجد بعض إخواننا وقد فاضت أعينهم من الدمع حزنًا على عدم المشاركة في الحملة الانتخابية، وأجد بعضًا آخر قد استشاط غضبًا مما قلته. فقلت لهم: إن حزني على عدم مشاركتكم يفوق حزنكم ألف مرة.. ولكن عليكم أن تصبروا قليلاً، ثقوا بي واتبعوا تعليماتي وساندوني فيما أنا مقدم عليه، وسترون أننا الذين سنضحك في النهاية".

وفي تلك الأثناء كانت هناك لجنة داخل المركز العام للحزب على رأسها "**أوغوز خان أصيل ترك**" و"**فهيم أداق**"، كانت معنية بالتدقيق في إجراءات العملية الانتخابية من حيث إجازتها الشرعية أكثر من متابعة العملية نفسها.

كانت أعمال الاستبيان الأسبوعي هي أهم عنصر يحدد توجه الحملة الانتخابية، ولهذا تم تكليف "**حسن البصري يلديز**" الطالب بكلية الاقتصاد آنذاك بهذه المهمة، وكان "**حسن البصري**" يقوم بإدارة أعمال هذا الاستبيان الأسبوعي من خلال فريق عمل شكّله من أصدقائه بالجامعة من الفتيان والفتيات. وكانت النتائج التي يتوصل إليها على حد تعبير أردوغان: "**دقيقة واضحة وضوح الصورة الفوتوغرافية**".

وطبقًا لنتائج الاستبيان فإن كان يتم تحديد الأماكن التي تتطلب التركيز بشكل أكثر في الحملة الانتخابية، وكانت المنطقة الأكثر ضعفًا في كل استبيان أسبوعي هي المنطقة التي يتم تكثيف العمل فيها، وتطوير سياسات خاصة بها للقضاء على عوامل الضعف فيها.

وكان حي (**حاجي خسرو**) أحد أضعف تلك المناطق التي تتضح للعيان دون الحاجة إلى نتائج الاستبيان الأسبوعي. وهو حي معروف منذ زمن بعيد بأنه قلعة حزب الشعب الجمهوري، وأن الأصوات الانتخابية به يمكنها أن تؤثر على نتائج الانتخابات بشكل قوي.

ويحظى "**أردوغان**" باحترام وتقديرٍ في هذا الحي احتفظ به منذ السنوات التي كان يلعب فيها كرة القدم. أما عندما يتعلق الأمر بطلب الأصوات الانتخابية، فإن الوضع حتمًا سيكون مختلفًا، فأعين سكان حي (**حاجي خسرو**) لا ترى شيئًا سوى حزب الشعب الجمهوري. ويبحث "**أردوغان**" عن وسيلة اتصال تفتح له الطريق للوصول إلى قلب هذا الحي، وفي النهاية يجد بغيته: "كان هناك صديق لنا تعرفنا عليه عن طريق "**توفيق أيدنيز**" هو السيد "**مصطفى**"، وهو الأخ الأكبر لصديقنا "**روحى**". فذهبت إليه وطلبت منه المساعدة فلم يردني خائبًا جزاه الله خيرًا. وكان له صديق يدعى "**قدرت**" في حي (**حاجي خسرو**)، يدير مكانًا للعب القمار، غير أنه كان يحظى باحترام وتقدير كبيرين بين أهالي الحي. وكان محبوبًا في محيطه ودائرته، فاتصل السيد "**مصطفى**" به هاتفيًّا وأخبره أننا سنذهب إليه. واعتقد أننا كنا وقت العصر تقريبًا، وعندما وصلنا إلى البيت كان السيد "**قدرت**" قد استيقظ لتوه من النوم، وأمام باب البيت وجدنا الكثير من الأحذية النسائية، فترددنا في الدخول. ولكننا علمنا أنه كان (**يوم السيدات**) (*) ولهذا كان البيت مكتظًا بالنساء. وقال لنا السيد "**قدرت**": "**ليس من الأصول ألا تدخلوا ما دمتم قد جئتم إلى بيتي**". وأمام إصراره دخلنا البيت ونحن في حرج شديد. كانت النساء قد احتلت غرفة الجلوس فذهب بنا السيد "**قدرت**" مباشرة نحو حجرة

(*) **يوم السيدات:** هو اجتماع أسبوعي تلتقي فيه سيدات الحي الواحد أو البيت الواحد للتحدث في موضوعاتهن الاجتماعية، وتستضيف إحدى السيدات جاراتها كل أسبوع في بيتها بالتناوب. وهو تقليد اجتماعي قديم لا تزال تحافظ عليه السيدات في تركيا على اختلاف ثقافاتهن وأوضاعهن الاجتماعية.

النوم. فرتب الفراش على أكمل وجه وقال لنا تفضلوا بالجلوس. فجلسنا على حافة السرير وشرحنا له الأمر باختصار. فقال لنا السيد "**قدرت**": "**لقد أتعب السيد مصطفى نفسه وجاء إلى بيتي، ووثق فيّ، وقدرني، فكيف لي أن أرده خالي الوفاض**" وأعرب لنا عن استعداده لتقديم كل أنواع المساعدة. وفي الحقيقة لم يدخر "**قدرت**" جهدًا، ولم يبخل بمساعدة طوال الحملة الانتخابية. ونظم ليلة جميلة دعا إليها من يعرف من الفنانين، ورافقنا في لقاءاتنا مع سكان الحي، وفي اجتماعاتنا معهم على المقاهي، وفتح لنا الطرق وسهل لنا الأمور، حتى بدا كأنه أكثر اهتماما بأمرنا منا".

ويعبر "مصطفى أردوغان" عن تلك الفترة فيقول:

"في ذلك الوقت لم يكن لدينا صوت واحد في (**حاجي خسرو**)، فقد كان ذلك الحي قلعة لليساريين. وكانت هناك شخصية ذات طابع عسكري في همته وجديته اسمه "**قدرت يلديز**" وكان شابًّا وسيمًا. عرَّفنا عليه أحد إخواننا، وسرعان ما انعقدت بيننا وبينه صلات قوية وفعالة، ومنذ ذلك الحين أخذ السيد "**قدرت**" يساعدنا في (**حاجي خسرو**) بشكلٍ لم نتوقعه.

وذات يوم قام بدعوة أحد المطربين المشهورين آنذاك لإقامة حفل غنائي، كان اسم هذا المطرب "**وحدت ورال**"، وعلى الرغم من أن ذلك اليوم كان يومًا مطيرًا، إلا أنه لبى الدعوة، وجاء وقد احتمى تحت مظلته. وفي ذلك اليوم قدم السيد "**قدرت**" لضيوفه أكثر من ألف فطيرة لحم عجُون(*) ، وكوبًا من العيران. وكانت معه أخته الكبرى السيدة "**نيجار**"، التي أمسكت بالميكرفون وقدمت "**أردوغان**" بأسلوبها الجميل قائلة: "**ها أنتم ترون شابا فتيّا نقيا مثل الألماس، أريد منكم جميعًا أصواتكم لهذا الأسد الجسور، فنحن كعائلة نقف بكل قوتنا خلف هذا الأسد ونساعده**".

وفي هذه الانتخابات حصلنا من (**حاجي خسرو**) على ألف صوت تقريبًا. وبعد عدة أعوام مات السيد "**قدرت**" مقتولا على إثر نزاع ما، ونحن إلى الآن نلتقي مع عائلته كلما سنحت لنا الظروف.

(*) **فطيرة لحم عجُون**: هي نوع من الفطائر الشهيرة في تركيا. عبارة عن فطيرة رقيقة مكسوة بطبقة خفيفة من اللحم المفروم الناعم وصلصة الطماطم والبهارات، وتُقدم ساخنة مع أعواد البقدونس والليمون.

يقول أردوغان: "كان قدرت يرهق نفسه ويجهدها كثيرًا في مساعدتنا، حتى أنه في صباح يوم الانتخابات استيقظ قبل أن تشرق الشمس، وجاء إلى مركز تنسيق الانتخابات بملابس نومه دون أن يغيرها، وتضايق كثيرًا عندما لم يجد أحدًا. وكنت اتفقد صناديق الانتخابات، فنظرت، فإذا بالسيد "قدرت" قد وضع واحدا من رجاله على رأس كل صندوق، واتخذ تدابير أمنية حازمة. وعندما رآني تقدم نحوي، وكان الغضب مازال يتملكه وباديًا على وجهه وقال لي: "يا سيدي الرئيس ! إن أصحابك لا يُصلُّون لتكن على علم بذلك"

فقلت له "خيرًا .. ماذا حدث ؟! "

فقال: **"ذهبت في الصباح إلى مكتبكم الانتخابي. فلم أجد أحدًا فقلت في نفسي "** لعلهم الآن في صلاة الفجر ثم سيعودون إلى هنا" **ولكن نظرت فلم يأت أحد ولم يذهب أحد ... سيدي الرئيس لا يمكنك الفوز في انتخابات أو في غيرها بهؤلاء الأصدقاء"**.

واستمرت علاقتنا بالسيد **"قدرت"** بعد ذلك. وأذكر أنه وأصدقائه طيلة فترة الانتخابات لم تلمس شفاهم الخمر. وبعد الانتخابات دعانا السيد **"قدرت"** إلى بيته لتناول الطعام. وفي حديقة منزله وضع طاولتين، لم تكن على الطاولة الأولى أية خمور وكانت مخصصة لنا، وكانت توجد خمور على الطاولة الأخرى، وجلس **"قدرت"** على الطاولة الأخرى متورعًا عن الجلوس معنا، فقمت من مكاني وذهبت إلى السيد **"قدرت"** وقلت له: **"لو أذنت لي فأنا سأجلس على مائدتكم"**.

وأثناء الطعام توجه نحوي السيد **"قدرت"** وسألني: **"سيدي الرئيس ... لماذا حرم الله تعالى الخمر ؟ وما قولك في أن شراب (الراكي) (*) مكروهًا ؟ "**

فذكرت لهم الآيات التي تحرم الخمر، إلى أن وصلت إلى الآية الكريمة: ﴿لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ﴾ [النساء:43]. فأحسست أنه لم يفهم الحكمة من الآية فأوضحت له قائلاً: "عندما يكون الإنسان مخمورًا، ويدخل في الصلاة، ويقرأ القرآن فقد يخطئ وينطق كفرًا مثل ﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ [الكافرون:2] ، فإذا ما نسي قول **"لا"** فإنه يقول **"أعبد ما تعبدون"** فقال لي فهمت سيدي الرئيس.

(*) **شراب الراكي:** هو نوع من الخمر التركي، لونه أبيض، وهو صناعة محلية تركية.

نَفَذَ "**أردوغان**" ما قاله، واستطاع هدم تلك الجدران التي كان يعتقد باستحالة هدمها بين الشعب وحزب الرفاه، ولنقل على الأقل في حي (**باي أوغلو**). خسر "**أردوغان**" رئاسة بلدية (**باي أوغلو**) بفارق بسيط جدًّا، لكنه استطاع أن يثبت أن الأساليب الجديدة التي استخدمها لأول مرة في حملته الانتخابية يمكنها أن تجعل من حزب الرفاه أكبر حزب في تركيا.

والأهم من نجاح حملته الانتخابية كان نجاح "**أردوغان**" في جعل أساليبه وإجراءاته الجديدة محل نقاش داخل المركز العام للحزب وبين صفوف قاعدته على حد سواء، فقد ارتفعت وتيرة الانتقادات التي وُجهت له، حتى أن بعض الأوساط الإسلامية قد اتهمته بالكفر. ومن الموضوعات التي خرج فيها النقد الموجه له عن حدوده ووصل إلى حد السب والإهانة والتحقير، كان تكليفه بعض الفتيات الجامعيات غير المحجبات بإجراء الاستبيان الأسبوعي في حي (**جيهان كير**)، ثم بالعمل في الدعاية الانتخابية بعد ذلك.

وحدث أن نشرت إحدى الصحف خبرًا بعنوان (**حزب الرفاه يستخدم العاهرات في الانتخابات**)، فجُن جنون بعض أعضاء الحزب. في حين أن تلك الفتيات كن طالبات في الجامعة يعملن ضمن فريق "**حسن البصري**" لتنفيذ أعمال الاستبيان الأسبوعي. وكن يعملن طوال الحملة الانتخابية بأجر يومي، إلى أن جاء الأسبوع الأخير من الحملة فرفضن تقاضي أجرًا مقابل عملهن واعتبرن أنفسهن متطوعات.

ويروي لنا "**أردوغان**" بنفسه إحدى الوقائع المؤلمة التي عاشها في تلك الأيام وهو يفند تلك الانتقادات والافتراءات، فيقول:

"اتصل بي أحد أئمة المساجد في حي (**جيهان كير**) وهو إمام ينتمي إلى حزبنا، وأخذ يصرخ في سماعة الهاتف، وقد أخذ به الغضب مأخذه، ويقول لي: واحسرتاه عليك، لا سامحك الله، انظر في أي قاع سحيق ألقيت بنا .. ماذا ستقول لربك غدًا يوم المحشر ؟ "

فقلت له:

- "أيها الشيخ اهدأ قليلاً ودع أذنيك تسمع ما تنطق به .. ماذا فعلنا نحن ؟! "

فقال:

- "وماذا ستفعلون أكثر من ذلك ؟! جمعتم هؤلاء العاهرات واحدة بعد الأخرى، ثم جعلتموهن يوزعن أوراق وملصقات حزبنا في حملتك الانتخابية..

ماذا أقول للجماعة... وبأي وجه سأخرج إلى الشارع بعد هذه الفضيحة ؟! "

لم تكن كلمات الشيخ من تلك الكلمات التي يمكن التغاضي عنها. فقلت له: **"سيدي الشيخ إنك تتحدث وتكيل الاتهامات دون علم.. عيب عليك ذلك. هؤلاء الفتيات طالبات جامعيات. وكلهن في مرتبة أخواتنا وبناتنا. ستنكشف لك الحقيقة غدًا، وعندها ستخجل مما قلت، وتشعر بالخزي والندم"**.

وفي مساء يوم الانتخابات كانت عملية التصويت قد انتهت، وكانت كلما جاءتنا أنباء عن نتائج الصناديق نشعر بالفرح ونوقن بأننا على وشك الفوز. غير أنه بمرور الوقت أخذت أخبارٌ غريبة ترد إلينا، إلى أن علمنا في النهاية أن حزب الشعب الجمهوري قد فاز في الانتخابات بفارق 1500 صوت.

وهذا ما لم نكن نتوقعه، وبدت الكآبة على وجوهنا جميعًا، وكان يقف معنا ذلك الأخ الشيخ الذي انخدع بما كتبته الصحيفة. وأخذنا نحاول تفسير نتائج هذه الانتخابات، ولكن دون جدوى.

وفي ذلك الوقت جاءت إحدى الفتيات التي تساعدنا في العملية الانتخابية، وكانت طالبة في كلية الحقوق، جاءتنا وهي تبكي وقد احمرت عيناها من كثرة البكاء.

وقالت سيدي الرئيس هل رأيت ما فعلتموه، لقد خشيتم الأقوال والشائعات، ولم ترسلونا لنقف على صناديق الاقتراع، إن إخوانكم الذين كلفتموهم بهذه المهمة هناك ما إن سمعوا صوت الآذان حتى تركوا الصناديق، وذهبوا للصلاة، فسرقت منا الأصوات، وحدث تلاعب في الدفاتر. لقد خسرنا الانتخابات التي نجحنا في الإعداد لها.

فطيبت خاطر الفتاة وطلبت منها الذهاب إلى زوجتي في الطابق الأعلى حيث يوجد الجناح النسائي. وما أن سمع ورأى الشيخ حال الفتاة حتى تمنى في نفسه أن تنشق الأرض فتبتلعه ولا تترك له أثرًا على ظهرها، ووضع رأسه على كتفي **وقال لي:**

- "سامحني سيدي الرئيس واعف عني.. إنني في شدة الخجل مما فعلت، سامحني أرجوك"

فقلت له:

- "لا تطلب العفو مني بل من تلك الفتاة المسكينة".

في الحقيقة كنت أريد أن أقول له الكثير والكثير، ولكن لا المكان ولا الزمان كان يسمح بذلك".

* * *

عند النظر إلى النتائج الواردة من صناديق الاقتراع صندوقًا صندوقًا نجد أن حزب الرفاه قد فاز في هذه الانتخابات، وأن **"أردوغان"** قد أصبح رئيس بلدية **(باي أوغلو)**، إلا أن النتيجة الرسمية في المجلس الانتخابي لحي **(باي أوغلو)** كانت تشير إلى أن حزب الشعب الجمهوري هو الفائز .

وهناك تفسير واحد لهذا الوضع: وهو أنه قد حدث تلاعب خلال عملية جمع الأصوات.

ويتقدم محاميو حزب الرفاه باعتراض إلى المجلس الانتخابي في **(باي أغلو)**، ويطلبون إعادة فرز الأصوات؛ إذ إنه عند إعلان النتائج كانت هناك بعض دفاتر جمع الأصوات لم تصل إلى المجلس، فضلاً عن حدوث تلاعبات في بعض الدفاتر، كما أن بعض الدفاتر قد سجلت أرقامًا بعيدة عن المنطق.

ويشرح المحامي **"زيد أصلان"** ما حدث، ويلخصه تلخيصًا رائعًا فيقول: **"اعترضنا على عملية جمع الأصوات المقيدة ببعض الدفاتر، ولكنها رُفضت في حينها، ففي أحد الصناديق التي استقبلت 310 ناخبًا، خرج منها حزب الشعب الجمهوري بعدد 522 صوتًا. ولم يكن رئيس مجلس الانتخابات في حالةٍ تمكنه من الاهتمام باعتراضاتنا، فقد أراد ذات مرة أن ينهض من مقعده فلم يقو على ذلك، بل غاص في مقعده. وعندما رأى السيد "راسم شيمشاك" كبير الضباط بمديرية أمن (باي أوغلو) خطورة ذلك الوضع، اتصل برئيسه السيد "عبد الحكيم"، وطلب منه إذنًا بفحص رئيس المجلس الانتخابي والتثبت من حالة سكره، غير أن ذلك الرئيس لم يرد عليه مخافة المسئولية"**.

لم يصدق **"أردوغان"** نفسه عندما علم بأنه فاز بالانتخابات في صناديق الاقتراع ثم خسرها بهذه الكيفية، فدخل على رئيس المجلس الانتخابي القاضي **"نظمي أوزجان"** وقال له: **"إنك مخمور سكران.. إن أقدامك لا تقوى على حملك بهذه الصورة، فكيف يمكنك أن تكون قاضيًا تحقق العدل وتحميه ؟ .."** فما كان من رئيس المجلس الانتخابي

إلا أن فتح عينيه بصعوبة ونظر إلى "**أردوغان**"... ولم يفعل أكثر من ذلك ... فلم يكن لديه ما يقوله ...

وبعد عدة أيام تم استدعاء "**أردوغان**" للإدلاء بأقواله في النيابة. فإذا به يجد اتهامًا موجهًا ضده بأنه قد أهان رئيس المجلس الانتخابي وسبه أثناء تأدية وظيفته.

لم يترك المحامي "**زيد أصلان**" "**أردوغان**" وحده بل ذهب معه للإدلاء بأقواله، وعندما وصلا إلى مقر سراي النيابة، أخبرا وكيل النيابة بحضورهما وأنهما في الانتظار. وكان يومًا مزدحمًا بالعمل للغاية داخل سراي النيابة. وبينما كان الدور يقترب نحوهما لمح المحامي عددًا من قوات الشرطة يصعدون إلى الطابق الأعلى فقال لأردوغان "**سيدي الرئيس: علينا أن نرحل فورًا من هنا، فوكيل النيابة سيأمر بالقبض عليك**".

وخرجا من مبنى سراي النيابة بسرعة كبيرة. وقرر "**أردوغان**" الاختفاء لفترة لأن وكيل النيابة سيطلب من الشرطة البحث عنه والقبض عليه.

وكأن تلك الصعوبات كلها، وخسارته في انتخابات كان محقق له الفوز فيها، لم تكن كافية، فإذا بصاحب الحق يصبح متهمًا شريدًا طريدًا للعدالة محرومًا من حريته.

كانت جلسة محاكمته ستنعقد في 27 إبريل / نيسان 1989م. وحتى ذلك التاريخ كان "**أردوغان**" مضطرًا للاختفاء عن الأعين والانزواء عن الناس.

طلب "**مصطفى أردوغان**" الأخ الأصغر لـ "**رجب أردوغان**" من السيد "**قدرت**" الاهتمام بأمر أخيه. وكان للسيد "**قدرت**" علاقات وطيدة برجال القضاء.

وحسب المعلومات التي وصلتهم فلم يكن هناك أي داعٍ للقلق، فسيبقى في السجن مدة أسبوع على الأكثر، وفي أول جلسة بعدها سيخلى سبيله. وبالفعل تم سجن "**أردوغان**" لمدة أسبوع في سجن (**بيرام باشا**)، ثم أخلي سبيله بعدها.

ورغم أنها كانت فترة قصيرة إلا أنها كانت مليئة بالذكريات، وكانت المرة الثانية التي يدخل فيها "**أردوغان**" السجن، ويحكي "**أردوغان**" عن ذكرياته خلال هذا الأسبوع فيقول:

"**عندما دخلت السجن كان شهر رمضان الكريم قد هل علينا، فانزويت في ركنٍ من أركان العنبر المخصص لي، وأخذت أقرأ القرآن الكريم الذي أحضرته معي، فاقترب**

مني زملاء العنبر يريدون التعرّف إليَّ، فتعارفنا وتحدثنا قليلاً، ثم سألوني عما أقرأ فقلت لهم أقرأ القرآن الكريم وتفسيره. فتأثروا كثيرًا، وأجلوني واحترموني، وأظهروا لي كل إكرامٍ، وخصصوا لي مكانًا أنام فيه. وكان في العنبر سجينان يُعتبران بين السجناء زعيمي العنبرٍ، أحدهما كان من محافظة (دوزجه) والآخر من محافظة (سينوب). وقد توفي الأول، ولازلت على اتصال ولقاءٍ بالآخر، حيث جمعتني به ذكريات غريبة وطريفة بعد ذلك" .

من "سجن متريس" إلى "سجن السليمية "

لم يكن حبس "**أردوغان**" في سجن "**بيرام باشا**" هو الأول أو الأخير في حياته السياسية. فأول تعارف له مع السجن يرجع إلى فترة ما قبل الانقلاب العسكري عام 1980م.

ففي يوم من الأيام التي أعلنت فيها الأحكام العرفية خلال تلك الفترة، كان "**أردوغان**" ومجموعة من شباب حزب السلامة الوطني قد ذهبوا لحضور جنازة أخّين من إخوانهم قد قتلا. ورأوا أن يذهبوا إلى حي (**كوتشوك تشاكمجه**) بالقطار نظرًا لكثرة عددهم، واضطروا كذلك للعودة بالقطار.

وعند عودتهم مع حلول المساء، نزلوا من القطار في محطة (**يني قابى**)، وعندما بدأوا السير نحو حي "**الفاتح**"، طلب بعض الشباب وفي مقدمتهم "**متين يوكسال**" من "**أردوغان**" أن يسمح لهم بالهتاف أثناء سيرهم، فلم يأذن لهم "**أردوغان**" وقال لهم إن ذلك لن يكون مناسبًا.

وعندما وصلت المجموعة إلى ميدان (**قيزطاشي**) وقد حافظوا على صمتهم وسكونهم إذا بالأخ "**متين يوكسال**" يخرج عن صمته ويبدأ في الهتاف، وكان بقية الشباب أيضًا ينتظرون تلك اللحظة بفارغ الصبر، فانضموا دون تردد إليه وملؤا الشارع بصيحات هتافهم.

ولم تتأخر قوات الشرطة عن الوصول إلى مكان الهتاف، وبالطبع سيطرت قوات الجندرمة (**الدرَك**) على الوضع، وفجأة وجدت المجموعة نفسها داخل سجن (**متريس**).

ويحكي لنا "**أردوغان**" بنفسه عن ذكريات الليلة الأولى التي قضوها في سجن (**متريس**) **وما بعدها من أحداث يقول :**

"قضينا معظم ليلتنا الأولى داخل سجن (**متريس**) في ردهات السجن واقفين على الأقدام؛ فلم نكن نستطيع الجلوس حتى لو أردنا ذلك، حيث كانت المياه تغطي الأرض كلها.

وحتى منتصف تلك الليلة لم نكن قد أكلنا شيئًا. وعندما خيم الصمت على السجن وخلا من المارة وتوقف صوت وقع الأقدام، أقبل علينا سجانًا يعمل بالسجن وقد جمع لنا كسرات خبز جافة قد تبقت من طعام الجنود، وإناء من الشوربة قام بتسخينه، ودعانا للطعام. ويعجز لساني عن أن أشرح لكم مدى الفرحة التي غمرتنا بهذا الطعام.

وبعد فترة ذهبوا بنا إلى المكان الذي سننام فيه، فتكوم كل منا في ركن من الأركان ونام. وما أن بدأنا نغط في نومنا حتى فزعنا على صوت صراخ وعويل، فظننا أنهم يعذبون بعض السجناء.

وظننا في البداية أنهم قد أخذوا واحدًا منا، فتأكدنا أنه لا ينقصنا أحد. ثم علمنا بعد ذلك أنهم قد علقوا ذلك السجان الذي أحضر لنا الشوربة وأوسعوه ضربًا على قدميه، وقالوا له: **"لم يبق إلا أنت حتى تأخذك الشفقة بهؤلاء الفوضويين"**.

وبعد فترة قاموا بترحيلنا إلى سجن **"السليمية"**.. ثم ذهبوا بنا إلى النيابة بعد عدة أيام. وعندما أدرك وكيل النيابة أن جريمتنا لا تستحق الإدانة، أطلق سراحنا.

وبعد الخروج من السجن اجتهدت للتعرف على هذا السجان، وإقامة صداقة معه، فكنت أريد أن أطلب منه أن يسامحنا حيث أوذي بسببنا، وعرض نفسه للتعذيب من أجلنا.

ولم يكن العثور عليه بالشيء الصعب، فقد كان من أحد الأخوة العلويين في منطقة تابعة لمحافظة (أضنة).

ولم تنقطع علاقتنا به بعد ذلك ولا زلنا إلى الآن نلتقي به بين الحين والآخر".